السنة الثالثة　　العدد ١٣　　١ تموز سنة ١٩٠٠

المشرق

# السيوف الشرقية القديمة وتحليتها بالجوهر

لجناب الاديب يوسف افندي غنّام ثابت *

## ١ نظر عمومي في الاسلحة الشرقية

أخضر اللون بين خدّيه بُرْدٌ 　 من ذعاف تميسُ فيهِ المنونُ
اوقدتْ فوقهُ الصواعق نارًا 　 ثمَّ شابت بهِ الذُّعافَ القيونُ
فاذا ما سللتَهُ بهر الشمس ضياءً 　 فلم تكد تستبينُ
ما يبالي من انتضاهُ لحربٍ 　 أشمال سطت بهِ ام يمينُ
وكأنَّ الفرِنْد والجوهر الجا 　 ري على صفحتيهِ ماءٌ معينُ

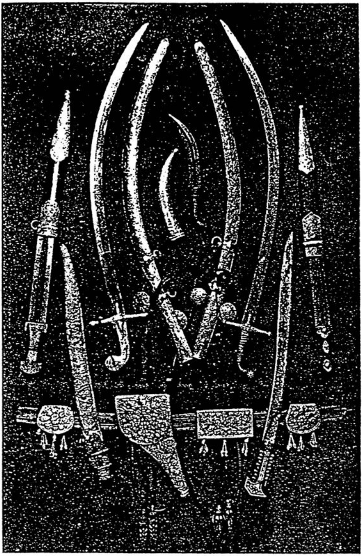
لله وصفٌ استوعب بوجيز الكلام كلَّ فضائل الحسام. ولا بدع فانَّهُ قيل في الصمصام. سيف ابن معدي كرب الزَّبيدي الهمام. حلية الملوك وفخر بني العباس الكرام على انَّ ما قيل في صمصامة عمرو الغراء لا يزري بقدر السيوف الشرقيَّة واسلحة اجدادنا البيضاء التي طالما افاض في وصفها الشعراء وتباهى بها السلاطين العظماء. وانَّما فضَّلوا السيف على غيرهِ من الاسلحة البيضاء كالرمح والحراب لانَّ اتخاذهُ ادلُّ على شجاعة الفرسان. يخوض صاحبهُ حومة القتال بقلب اصلب من الصوَّان. فيجالد قِرنهُ وينافحهُ. ويزاحمهُ ويكافحهُ. ولا ينكص على عقبيهِ حتى يفلق هامهُ. فيعود ظافرًا بالغنيمة وهو يشكر حسامهُ. واذا قرَّ السلم وكفَّ العدوان. عرض سيفهُ بحمائلهِ في اجلّ مكان. يزين بهِ بيتهُ ويفاخر الاقران

* قد اخذنا عن اخينا العزيز والقين (السلاحجي) الشهير سليمان غنَّام ثابت كثيرًا من الاوصاف والفوائد التي ادرجناها في هذه المقالة فانَّهُ اجتمع بكثيرين من ذوي الاضطلاع في هذا الفنّ فباحثهم فيهِ ثمَّ اتَّصل بخبرتهِ الخاصَّة الى ما لم ينلهُ غيرهُ من هذا القبيل وقد تجوَّل في اوربة ودخل اكثر المصانع الاميركية وادرك مزايا اسلحتها وعرف فضل الاسلحة الشرقية عليها

فهذا مجد السيف وفضلهُ العظيم حمل الشرقيين عموماً والعرب خصوصاً على إحكام هذا السلاح والتفنن في صناعتهِ وتراهم لاعتبارهم لهُ قد وضعوا لهُ نحو خمسمائة اسم تدلُّ كلها على صفاتهِ الفريدة وخواصهِ العديدة. وقد انتشرت قديماً صناعة السيوف في بلادنا اي انتشار حتى عمَّت كلَّ الاقطار الشرقيَّة. امَّا الذين برَّزوا فيها وفازوا بقصبة السباق فاهل دمشق الشام. فانَّ قيونها قد بلغوا في هذه الصناعة غايةً ليس وراءها مستزاد بل عجز عن ادراكها كثير من الامم في الاعصار السالفة. وما لي اقول السالفة أو لسنا نرى في زماننا اصحاب المصانع (الترسانات) الاوربيَّة الكبرى مع ما لديهم من الوسائل الوافرة يقرُّون بفضل هذه الاسلحة القديمة ويحاولون تقليدها دون ان يصيبوا من خواصها الّا القليل وهم يبذلون في مقتنى بعض شفرات منها مالًا طائلًا. والحقُّ يُقال انهم لراجحون مهما دفعوا من الاثمان في حقّها لأنَّهم يعلمون ما في صُنعها من الشأن الخطير

من البديهي انَّ السيوف تُصنع عادةً من الفولاذ الجيد. وقد صنعها بعض الاقدمين كالمصريين واليونان من الحديد والقلز فاكسبوها بذلك الصلابة والمرونة معاً. ومن السيوف العربيَّة التي اشتهرت في الزمن القديم السيوف اليمانية العريضة المصفَّحة ذات الحدَّين. قال صاحب آثار الأُول الحسن بن عبد الله (ص ١٦١) في وصفها: «ومن علامات السيوف اليمانية العُتق التي طُبعت في الجاهلية ثقبان في سنبل السيلان وثقب السنبل من احدى جهتيه اوسع او متساويان ووسطهُ اضيق. ومنها المحفورة وهي التي شطبها شبيه بالانهار وقد حُفر بمبرد مدوَّر. ومنها ذات حَفر مربَّع ومنها ذات شطب. وقلَّما تسلم اليمانية من العروق المفتوحة وقد توضع عليها تماثيل او يكتب او يصوَّر عليها صورة وقد يخفي ذلك. وهذه السيوف اكثر قطعها في اللين فاذا صادفت الحديد او اليابس تقصَّفت»

ومن السيوف الشرقية المشتهرة ايضاً السيوف العجمية لاسيما الخراسانية. ومنها الهنديَّة وتدعى ايضاً الهندوانية ومن اصنافها القَلَعية نسبة الى بعض بلاد الهند. ولبلادنا الشامية الذكر المستفاض في صناعة السيوف. ولا يجهل شرقيّ اسم المشرفيَّات وهي السيوف المصطنعة في مشارف الشام اي قراها المجاورة للريف. ومنها الدمشقية التي نصفها في معرض كلامنا. ولا يسوغ ان نضرب صفحاً عن السيوف التركية واصنافها



اسلحة شرقيّة قديمة

سيفان عربيّان عليهما كتابات ونقوش ثم قامتان جركسيّتان ثمّ يطقان بشناقي وشاكريّة مع اغمدة وحمائل ( بيت سلاحلك )

والمدى وما شاكلها على شبه عُقد متناسقة متقاربة متلاصقة او كبُقع يستدير بها خانات متعددة تخال لمين الرائي انها مؤلفة من الوف من اسلاك الفولاذ الدقيقة ممتزجة بمعدن آخر يختلف عنها لونًا . وربما ظهرت تلك التموجات متراكبةً بعضها فوق البعض ومنظمةً مع كثرتها على هيئة اشكال هندسية جميلة ذات ترتيب انيق واحكام بديع يروق البصر ويأخذ بمجامع القلب

امَّا ظهور الجوهر فيكون بواسطة التخضير ( والعامة تقول التخدير ) وذلك بان تضع في طاسة من الرصاص قبضة من السناج ( الشحبرة ) وتصب فوقهُ قليلًا من الماء تغليه على النار . ثمَّ تأخذ خرقةً نظيفة تبلها في هذا المزيج وتفرك به الصفيحة المراد تخضيرها بعد نزع الصدإ عنها تامًا وصقلها جيدًا . فان ظهر الجوهر والَّا فصبَّ قليلًا من المزيج على الصفيحة وراجع الفرك بالخرقة مرارًا واذا لم يظهر الجوهر جليًا فصبَّ شيئًا من الحامض الكبريتي وزد عليه قليلًا من رماد موقدة الحدادة ( النصبة ) تمسح به القطعة باطراف الاصابع الى ان يظهر الجوهر تامًا وتبرز للعيون كلّ خاناته

وللجوهر عند العرب اسماء عديدة فيدعونهُ أثرًا وفرندًا وسفسقةً وقد عرَّفوا الفرند بقولهم « انهُ ما يُرى في السيف شبه الغبار او مَدَبّ النمل » . امَّا السفسقة فجاء عنها في تاج العروس « انَّها الفرند او طرائق السيف التي فيها فرند او شطبةٌ كأنَّها عود في متنه او هو ما بين الشطبتين في صفحة السيف طولًا »

والجوهر جوهران حديدي يُعرف بالجُبير ويختص بالاسلحة النارية وليس الكلام عنهُ في الحاضر . وفولاذي وهو المختص بالاسلحة البيضاء كالسيوف والبالات والخناجر . ولكليهما اشكال عديدة لها اسماء تُعرف بها . والجوهر الفولاذي يُدعى بالضبان وهو اسم يعمُّ في الغالب كلَّ ضروبه المختلفة سواء كان الجوهر شاميًا او عجميًا او هنديًا او ارناؤطيًا او جركسيًا

وليس الجوهر الفولاذي او الضبان كالفولاذ وانَّما لهُ صفات عديدة تميّزهُ عنهُ . ( الاولى ) انَّ الجوهر اذا أُدخل في النار زاد صلابةً لاسيما اذا وضع في نار الفحم الحجري فانَّ صلابتهُ تبلغ مبلغًا عظيمًا وذلك بعكس الفولاذ الذي يزداد لينًا في النار فمن ثمَّ لا ينبغي إحماء الجوهر الَّا بنارٍ من فحم السنديان امَّا اذا أُحمي في نار الفحم المعدني وأُججت النار فيتصلَّب وتصعب برادتهُ او يحترق فيطفو ( يفوش ) فيتلف . ( الثانية )

انَّ الجوهر يقسّى ( يُسقى ) بالهواء والزيت والشحم ولا يسقى بالماء كالفولاذ لان الماء يضر به فيتشعّب ( يعومد ) ويتقطع . ( الثالثة ) ان السيف المجوهر امضى من الفولاذ في القطع والضرب فتراه يقطع بسهولة الاخشاب والعصيّ الضخمة واللبد والحديد دون ان يُثلم ويصيب حدَّه فلٌّ كما تتفلّل السيوف الفولاذية . وفعلهُ في قطع اللحم غريب قيل انهُ يوضع على قطعة دهنيَّة من المساء الى الصباح فيقطعها شطرَين بدون ان تمسَّهُ يدٌ البتَّة . ولكنهُ لا يصلح لأن تُتخذ منهُ مبارٍ للاقلام

وقد رُوي لبعض اهل عصرنا اعمالٌ عجيبة تدلُّ على حذاقة اصحابها في ضرب السيف . فمن ذلك ما يخبر عن عماد العاقوري انهُ كان يجمع عدَّة قضبان من الفولاذ ويلفُّها في لبدةٍ فيقطعها بضربةٍ واحدة بسيفٍ مجوهر . وقد اكسبتهُ حذاقتهُ هذه اكراماً جزيلاً عند الولاة حتى انَّ الدولة العليَّة اعفت املاكهُ عن الاموال الاميرية . وممن اشتهروا في عصرنا بضرب السيف وألعابه آل حرفوش وآل عماد وآل حبيش وابو سمرا غانم والشنتيري والحاج قدور دوغان وشيبان آغا ثابت فهذا كان يحمل عصاً ثخينة من السنديان على قدحين أعنقين من البلور ممتلئين ماءً فيقطعها بالسيف شطرين ويبقى الشطران مستندين الى بعضهما دون ان ينكسر القدحان او ينكب نقطةٌ واحدة من مائها على الارض . وكان يجري العاباً اخرى كثيرة مثل هذه بحضرة المغفور لهُ رستم باشا متصرّف لبنان . وكان المذكور احد ياوري المتصرفية

٣ في اجناس الجوهر الشائعة

انَّ اجناس الجوهر المشتهرة اربعة : الدمشقيّ والعجميّ والهنديّ والارناؤوطي وافخرها الدمشقي

( الجوهر الدمشقي ) وهو المعروف بالجوهر الخنون . لهذا الجوهر اشكال عديدة تُرى لهُ خانات وبُقع وتموُّجات . ومنهُ نوع يُدعى جوهر « الف اسلمبول » يظهر فيه شبه نُقَط متطاولة وخطوط دقيقة متقاربة تحكي الجوهر الحديديّ الفرنجيّ المنسوب الى برنار . ومنهُ نوعٌ بديع ممتاز يُنعت بالخناوي . قيل انهُ نُسب الى بعض اقرباء القديس يوحنا الدمشقي لانهُ أتقن صنعهُ . وعندنا انَّ هذه السيوف الدمشقية لُقِّبت بالخناويَّة لانها اشتهرت في ايَّام هذا القديس

وللجوهر الدمشقي خواصّ فريدة فاق بها كثيرًا الجوهر العجميّ والهندي فنال المقام الاول عند الشرقيّين والغربيّين معًا وقد رأيتُ ان اعدها هنا لفائدة القرَّاء . قد

امتاز الجوهر الدمشقي: ( اولًا ) باشكال بُقَعه الهندسيَّة المُحكمة التي يلوح لها على صفحات هذه السيوف أثور وتموُّجات غاية في الحسن. وهذه البُقَع مع دقَّتها تظهر للعين جليَّة رائعة لا ترى لها شبيهًا في ابدع الاسلحة العجميَّة والهنديَّة. ( ثانيًا ) باشراق لونهِ المائل الى البياض الزاهي مع عدم قبولهِ للصدإ كسائر اشكال الجوهر. ( ثالثًا ) بلينهِ. فاذا اخذت قطعةً من الجوهر الشامي وبردتها تجدها الين من الجوهر العجمي والهندي ولهذا ترى السيف الدمشقي لا يقبل الكسر كالعجمي والهندي عند الضرب. فلُقِّب لذلك بالحنون. ( رابعًا ) بتركيبهِ فان الذي ينظر الى كسرةٍ منهُ يجد قلبهُ محبَّبًا ذا حبوب ناعمة متقاربة المسامّ رماديَّة اللون مع ميلها الى البياض. وهذه الاوصاف لا تجدها في أجود الفولاذ الاوربي كالانكليزي الموصوف بجودتهِ. ( خامسًا ) ببقاء جوهرهِ. فان الجوهر الدمشقي اذا مُدَّ بالنار صَفائح وطُرق تطريقًا كثيرًا وأُعيد تخضيرهُ ظهر فيهِ الجوهر حسنًا بخلاف العجمي وغيرهِ فانهُ كثيرًا ما يُمحى ولا يعود يظهر لاسيا ان سيوفهم كانت تصطنع من كتلتين او بيضتين (١). ( سادسًا ) امتاز السيف الدمشقي بكونهِ مصنوعًا من كتلة واحدة لا لحام فيهِ ولا بطان ولذلك كان اذا مُدَّ او طُرق لم يلحق بهِ ضرر كبير

فهذه الخواصّ الفريدة التي احرزها الجوهر الدمشقي جعلت للسيوف الشاميَّة شأنًا خطيرًا عند الجميع فكان العارفون بها مولعين ببقَعها وطرائقها وتوشيتها فيطنبون بوصفها ويُغالون باثمانها. وترى الاجانب الى يومنا هذا يتسابقون الى مشتراها ويعرضون ما اصابوا منها في متاحفهم ويحفظونها حفظهم للآثار الثمينة. بل كثيرًا ما حاولوا تقليدها في معاملهم فلم تتحقَّق آمالهم

( الجوهر العجمي ) هو على صنفين خاصَّة جوهر «كُرْك مردوان» وجوهر «خراسان». فالاوَّل من اعلى اشكال الجوهر العجميّ دُعي بكُرك مردوان نسبةً الى بعض بلاد العجم فيما نظن. ووصفهُ انَّ نصلهُ يُقسم الى اربعين خانة وكلُّ خانة تؤلف من

١) قيل انَّ الدمشقيين كانوا اذا ارادوا اصطناع نَصل للسيف عمدوا الى معادنهم فيحصّلون منها كتلةً واحدة من الفولاذ فيمدُّونها سيفًا تامًّا. امَّا العجم فكان يصعب عليهم وجود كتلة واحدة كافية لسيف واحد ولهذا كانوا يتخذون لذلك كتلتين. وتدعى الكتلة بيضة لانها كانت على قدر بيض النعامة

اثنتي عشرة بقعة ولكل بقعة سبعة خطوط . وهذه البقع لا تختلف عدداً وخطوطاً اينا وقعت سواءً كانت في رأس السيف ام في وسطه لكنها تختلف كبراً بحسب اتساع المكان

وليس هذا الجوهر مختصاً بالعجم فانّنا رأينا نصالاً شاميّة وهنديّة عليها مثل هذه النقوش . ولعلَّ العجم اخذوها من اهل دمشق لمّا استولى تيمور لنك على عاصمة الشام وجلا عنها الصاغة والصنّاع فقادهم اسرى الى بلاده وكانت غايتهُ ان يحصر صناعة الجوهر في العجم ويبيد ذكرها من الشام لانَّ هذه الصناعة لم تكن مدوَّنة في كتب بل كان الصنّاع يتناقلونها بالتقليد ويحفظونها كسرٍّ يضنُّون بافشائهِ لغيرهم . فادرك تيمور بغيتهُ وماتت الصناعة مذ ذاك الحين في دمشق (١

امّا الجوهر الخراسانيّ الذي يُدعى خصوصاً بالجوهر الضبان . فهو دون الجوهر السابق منزلةً ولهُ الرتبة الثانية في الجوهر العجمي . وهو مثلهُ في خاناتهِ وبُقعِهِ بيد ان البقع يتداخل بعضها في بعض فتختلط ولا تتميَّز . امّا لونهُ فكمِد باخضرار وفيهِ لمعات بيضاء تحاكي معدناً فضيّاً

(الجوهر الهندي) هو في شكلهِ كالجوهر العجمي والدمشقي لكنَّ اسلاكهُ التي منها تتكوَّن العُقَد والخانات أنحف وادقّ منهما . امّا من حيث صلابتهِ فهو اصلب منهما جداً وهو من اقسى انواع الجوهر والفولاذ . واذا كُسر رايتهُ مسودّاً . والمبرد لا يعمل فيهِ الّا بعد العناء الطويل والمشقَّة الكليّة

(الجوهر الارناؤطي) قد اكثر الارناؤط من اصطناع الجوهر الضبان والجوهر الحديدي معاً الّا انهم لم يبرعوا فيهِ كاهل الشام والعجم

وهنا نقول على سبيل الاستطراد ان بعض الفرنسويّين في مدينة سانت اتيان سعوا في اصطناع الجوهر الشرقي بل توصَّلوا بعد البحث الطويل الى صنف منهُ لكنَّ هذا النوع ليس بذي شأن خطير فلا يحطّ بمنزلة الجوهر الدمشقي ولا يستحقّ ان يُنظم في سلكهِ لاسيما من حيث الشكل والصلابة والخواص التي سبق ذكرها في وصف الجوهر الدمشقي

فمن كلّ ما سبق يظهر انَّ سرّ صناعة الجوهر لا يزال دفيناً الى يومنا ولعلّهُ لا يُكشف قبل زمن مديد

١) راجع كتاب عجائب المقدور في اخبار تيمور لابن عربشاه

٤ بعض خواصّ الصناعة الدمشقية

بقي علينا بعد الكلام عن الجوهر وخواصه ان نذكر بوجه الاختصار ما برع به الدمشقيون في صنع الاسلحة فنقول: انّ الدمشقيين فضلًا عن الجوهر الفاخر الذي كانوا يحلّون به الاسلحة البيضاء كانوا يحكمون صنع السيوف والبالات (١ والخناجر والقامات والسكاكين والشاكريّات (٢ وسائر انواع المُدى والخُوَذ والدروع والطبرات. وكثيرًا ما يُحلون تلك الصفائح بابدع الكتابات والاشعار والاسماء الشريفة والآيات ويحفرونها تارةً بالقلم وتارةً يوشّونها بالفضة او الذهب وكلّ ذلك ضمن آطار بديعة وعلى هيئات هندسيّة ورسوم باهرة انيقة. ولم يقفوا عند هذا الحدّ بل كانوا يرصّعونها بالحجارة الكريمة. ويصنعون لها اغمادًا وغلفًا يتفنّنون بنقشها وزخرفتها بانواع المعادن الثمينة

ومن أُ السيوف التي اشتهرت في عصرنا سيف الصاعقة وكان للامير بشير الشهابي حاكم جبل لبنان اهدتهُ الاميرة قرينتهُ بعد وفاته الى سموّ خديوي مصر اسماعيل باشا. وكان هذا السيف تحفةً من تحف الدهر اهلًا بخزائن الملوك لقدمه وحسنه. وكان جامعًا لاصناف الفنون الصناعيّة المتقنة مرصّعًا بضروب الجواهر الكريمة الفاخرة. وكان غمدهُ من خالص الذهب الابريز مصوغًا بابدع إحكام تزينهُ الحجار الثمينة

وقيل انّهُ كان لدى الامراء الشهابيّين في بيت الدين عدّة اسلحة وسيوف جميلة الشأن تضارع سيف الصاعقة حسنًا واتقانًا وكان الامير بشير يتكلّف بنفسه القيام بامر توشيتها وصياغتها فيقترح على الصاغة رسومًا اخترعها بفكرته الوقّادة. وكان استقدم الى بيت الدين ابرع صنّاع المشرق في الصياغة وغيرها من الفنون يتقدّم اليهم بصنع الاعمال الشريفة والاشغال المنيفة التي تعنّ لخاطره فينجزونها كما شاء. فصار لهؤلاء الصنّاع شهرة عظيمة الى يومنا

هذا ولا يزال في بلادنا شيء كثير من هذه الاسلحة القديمة التي وصفناها يتفاخر بها ذوو البيوتات الشريفة يعرضونها في صاعاتهم ويذكرون عن تاريخها امورًا خطيرة

---

١) البالة كالسيف الّا انّها اقصر واقل انحناء منهُ وفي رأسها عند الظهر نتوء بطول ١٥ سنتيمترًا في عرض سنتيمتر ونصف. وعرضها لا يزال في تناقص الى اعلى الرأس على هيئة بديعة. وفي يد الخواجا شاكر هيكل في معلّقة الدامور بالة غالية الثمن كنت وددتُ لو تيسر لي رسمها (انظر الصورة ص ٥٧٩) ٢) الشاكريّة شبه الخنجر الّا انّها اصغر منهُ

تكسب الناس اعتباراً لها وتزيد اسفهم على فقد اسرارها المكنونة · وقد اخذنا في الصورة الواردة في الصفحة ٥٧٨ رسم بعض الاسلحة القديمة التي وجدناها في بيت جناب الفاضل ملحم الوردي المعروف بامير السيّاح وهو كَلِف بجمع مثل هذه العاديّات الثمينة

وقد احببنا ان نقف على تركيب قطعةٍ من الجوهر الدمشقي لنعرف ما يدخلهُ من المعادن فقام حضرة الاب العلامة سولران اليسوعي بتحليلها الكيمويّ في مختبر المكتب الطبي · وقد وجد فيها ما عدا الفولاذ معدنًا آخر ثمينًا من المعادن التركيَّة يدعى تيتان (titane) لم يجد مثالهُ في قطعة اخرى من الجوهر العجمي · ولعلَّ هذا المعدن او معدن آخر كالخروم (chrome) هو الذي كان يجدي الجوهر هذه الخواصّ العجيبة التي ذكرناها · وسنبحث ان شاء الله مرَّة أخرى في ما يتناقلهُ القوم عن سرّ تركيب الجوهر

وغاية ما نتمناهُ ان ينشط اهل بلادنا الى احياء صناعات اجدادنا فنحرز لنا على مثالهم اسمًا مجيدًا وفخرًا وطيدًا فنجاري اهل الصنائع الاجنبيَّة ونعارض اصحاب المعامل الاوربيَّة ونخدم وطننا خدمة تذكر فتشكر · حقّق الله امانينا آمين

## اصلاح اللغة

وردتنا من احد مراسلينا الافاضل الكرام هذه الرسالة فاثبتناها بحرفها لما يترتَّب على ملاحظات صاحبها من الفوائد اللغويَّة ( المشرق )

حضرة الاب الفاضل مدير المشرق الاغر

اللغة واسطة التفاهم بين الناس فهي لذلك بمكان عظيم من الاهميَّة فمن يُعنى باصلاحها يُعنى بامرٍ عظيم · ومعلوم ان لغتنا العربيَّة قد داخلها الفساد واعتورها النقص فوجب اذن اصلاحها من هذين الوجهين

امَّا الفساد فاصلاحهُ لا يقوم الَّا باظهار الكلمات الفصيحة التي تقابل الالفاظ العاميَّة ونشرها في مجلة شهيرة كمشرقكم الزاهر ليتعلَّمها الناس ويستعملوها في مخاطباتهم وكتاباتهم

وامَّا النقص الذي يُراد به هنا قصور اللغة عن تأدية المعاني المختلفة التي احدثها التمدُّن العصري والعلم من اصطلاحات ومخترعات وآنية ورياش الخ · فاصلاحهُ يتوقف على استخراج كلمات من نفس اللغة تطابق تلك المعاني اذا وجدت والَّا فلا بأس من استعمال الكلمة الغريبة وادخالها في لغتنا كما فعل علماء اللغة الاقدمون الذين لم يكونوا

يتورعون من هذا التعريب تورُّع علماء عصرنا اللنويين بل كانوا كلما رأوا كلمة لا مرادف لها في لغتهم استعملوها بلا توقف. وهذه معجمات اللغة شاهدة بما فيها من مئات الالفاظ الدخيلة التي منها عدد لا تخلو العربيَّة من مرادف لهُ. ومع ذلك قصد استعملوهُ. ولو جرت مباحثة في ايامهم على ايجاد مرادف للفظة « مدام » لمَا تردَّدوا ان يقولوا: يجب اتخاذها بلفظها وجعلها عربيَّة. ولما اجهدوا قريحتهم بايجاد مرادفٍ لها على غير طائل كما جرى في ايامنا حيث اختار بعض الباحثين لفظة آنسة للمداموازيل وعقيلة للمدام. وكل خبير يعلم ما بين الاصل وهاتين الكلمتين من الفرق الجسيم فهما لا تؤديان اصلًا معنى مداموازيل ومدام فضلًا عن صعوبة استعمالها في التخاطب

فللوصول الى هذه الغاية يحسن بمشرقكم الاغر الذي يخدم الآداب والعلوم خدمةً جليلة ان يفسح في صفحاته مكانًا لهذا المبحث المهم المفيد يعرض فيهِ على اللنويين بعض الكلمات العاميَّة والاجنبيَّة فيتكرَّمون باجوبتهم وينشر منها المشرق ما كان سديدًا وجديرًا بالذكر فيجري على الالسنة وتدوّنهُ اقلام الكتاب. فان راق لكم هذا الاقتراح فاكرموا بنشر ما يأتي فاتحةً لتلك المباحث ولكم الفضل

كيف يؤدَّى بالعربيَّة معنى هذه الجملة ؟

Bossuet est un homme de génie.

ماذا يرادف هذه الكلمات الاجنبية والعامية ؟

كرّاف ( اناء للماء الخ ) — جاط — كبَّاية — سوبيرا ( اناء الشوربة ) — طرَّاحة ( مثل فراش صغير للجلوس )

( المشرق ) انَّا ندعو اللنويين من قرَّائنا الى الجواب عن الاسئلة السابقة. وان تحرَّجوا اجبنا بما نراهُ أقرب الى الصواب

# العوائد اللبنانية

لحضرة الاب يوسف تاكي احد اساتذة مدرستنا الكليَّة (تابع لما سبق)

تربية اهل لبنان لبنيهم

لقد اصاب من شبَّه الولد الحدث بالغرسة الصغيرة تلويها وتقوّمها فتلين وتستقيم واماً ان نمت وبسقت واصبحت شجرة فلا تُلوى بل تحطَّم ولا تستقيم فتبقى الدهر عوجاء ولذلك ترى الآباء يُعنَون بتهذيب ابنائهم الصغار وتقويم اودهم وتوفيقهم الى ما

فيهِ فائدتهم ونجاحهم في الدين والدنيا وفي لبنان عوائد في التربية تفرَّدنا بها فعُرِفت بنا وعُرفنا بها فأحببتُ ان الخّصها. ومن ثمَّ ليس غرضي ان انشر فصلًا مطوَّلًا في محاسن التربية ومعايبها ولكن ما اتوخَّاهُ ذِكر طرائقنا وأطوارنا التي خصَّنا الله بهــا وورثناها عن آبائنا

التهذيب تهذيبان: تهذيب الجسد وترويضهُ والعناية بهِ. وتهذيب النفس والاخلاق وهداية الانسان الى الصلاح وشريف الخصال فكلامنــا باديء بدءٍ يكون عن تربية الجسد

في لبنان ترضع الوالدة ولدها ولا تبيح ذلك لظئرٍ ايَّةً كانت الَّا عنــد مسيس حاجةٍ تمنع او اعتراض يردع وكلٌّ يعلم ان الولد الذي جرى في عروقهِ دم والدتهِ يكون لحسن مزاجهِ اصلح ولتوفير اسباب نموّهِ ادعى ان يغتذي بحليب امّهِ

حينما يدرج الطفل في هذه الاصقاع يبرح البيت ويضرب ببصرهِ الى البرّيّة وجبالها واوديتها وانهارها والى السماء ونجومها وامطارها فيستفيد من ذلك صحَّةً وعقلًا ولا يزال يومًا فيومًا يتقدَّم في العمر وقوة الاعضاء. وهو عادةً دمويٌّ عصبيٌّ وذلك مزاج الكثيرين عندنا فيكون جلودًا في الاتعاب صبورًا في المشاق قوي الذراع وسيمًا كبيرًا. فشتان ما بين هذا الولد الناشئ كالارزة وقاطن المدن الذي امتقع لونهُ وعلَّ جسمهُ وقلَّ نشاطهُ نور الشمس يضنيهِ ونفحة البرد تؤذيهِ بيدَ انهُ اضرَّت في الجبال معامل الحرير اضرارًا جسيمة فان الوالدين يرسلون اولادهم اليها احداثًا صغارًا فترى لونهم اشبه بلون ساكني الاجداث منهُ بالاحيــاء واصابعهم سلختها الماء الغالية ودمهم ضعف وبنيتهم نحفت وآدابهم تعرَّضت للاخطار الصادرة عن الاجتماع ولولا النظام وسهر ارباب المعامل على حسن الآداب والتقوى الضاربة اطنابها في العائلات لكان الخرق أوسع والشرُّ افظع

كفى بهذه الكلمات الوجيزة عن تربية الاجسام على ان هذا الامر يزيد وضوحًا في مقالتنا عن الطبّ في هذه الديار

واهمُّ من تربية الجسد والعناية بهِ تهذيب الاخلاق وترويض النفس على الصلاح والخير وحسن التقوى فان خلا المرء من هذه الخلال كانت حياتهُ سُدًى واتعابهُ ضياعًا. ولكن ما الذرائع التي يتذرَّع بها اللبناني في هذا العمل الخطير ؟ فنجيب انَّ الذرائع كثيرة واخصها ضرب الصغــار وعقابهم. قال بعضهم: ان في القضيب لسرًّا يشفي من

امراض النفس. والعامَّة في امثالها تسدّد هذا القول فاسمع: «إللي ما بيتكسَّر على ضهرو قضبان آخرتو لنغربان. إللي ما بيأدَب بيتعذَّب. ابنك الزغير رَبّيه وان كبر خاويه. مين ضحَّكك بكَّاك ومين بكَّاك ضحَّكك» ومن اقوالهم «الضرب بيعلّم الدب يرقص(١)». فهذه وغيرها بمعناها تطابق ما انزلهُ الروح القدس في كتابه الشريف: مَن وفَّر عصاهُ فهو يبغض ابنهُ (امثال ١٣: ٢٤) والعصا والتوبيخ يفيدان حكمةً (امثال ٢٩: ١٥) الخ

فاذن من اقتصر على الذرائع الادبيَّة في تهذيب اولاده كثيرًا ما يخفق مسعاهُ ويؤول امرهُ الى الانخذال فيندم ولات حين ندم. وقد يكون الضرب بلا فائدة وجدوى ان عرف الولد ملجأً يلجأُ اليهِ ألا وهي الام الرقيقة الرحيمة. يضرب الوالد ويبرق ويرعد والصبي لا يبالي لان الام تحميهِ او تسترضيهِ. وقد سمعنا ولدًا يبكي وينشج ويقول: «ابي يضربني وامي ترضيني» فلتحذر الامهات

ومن الشوائب ما تُخوّف الاولاد بهِ من الغول والجنّ والضبع والبعبع والككو. كم مرَّة سمعنا هذه العبارات: ان لم تسكت فارميك للضبع او يأخذك البعبع ويأكلك الغول الخ. فيرى الولد في منامهِ ما يتصوَّرهُ في اليقظة وينشأُ على الجبانة والهلع

من الخصال الحميدة ان الولد عند نهوضهِ من النوم يقبل ايدي ابيهِ وامّهِ ويقول: «ترضَ عليَّ (ارضَ عني). يا امي ادعي لي». وفي النهار ان جاء سائلٌ يطلب صدقةً يأخذ الولد بنفسهِ ما يكون قد جاد بهِ على المسكين اصحاب المنزل ويعطيهِ اياهُ قائلًا: «الله يبعث لك او الله يتحنن عليك او الله يرزقك» الخ. ويفرح الاولاد جدًّا عند ما يأتي فقير لان الوالدة تقول لهم: «جاء اخو المسيح» فتراهم يسرعون ويتسابقون الى اعطاء فقير والذي لا تسمح لهُ الوالدة ان يعطي شيئًا يحرد ويتكدَّر وعلى هذا المنوال يعتاد الصغير محبة القريب وبذل ذات اليد ولين الاخلاق

انَّ الولد يدعو ابن عمهِ اخًا وابنة عمهِ اختًا ينادي ابن عم والديهِ عمًّا او خالًا فيترعرع ويتقدَّم في الايام ولا ينسى ما تعلمهُ في صغرهِ. فان حضرت مجلسًا في لبنان فيهِ

١) الذي لا يتكسَّر على ظهرهِ قضبان آخرتهُ للغربان. ذي ما يؤدب يتعذب. ابنك الصغير ربّهِ وان كبر آخِهِ. من ضحَّكك ابكاك ومن ابكاك ضحَّكك. الضرب يعلّم الدبَّ الرقص

اهل ضيعةٍ مجتمعون فما من احد يدعو صاحبهُ الّا اخًا او عمًا او ابن عمٍ او خالًا وان لم يكن بينهم الا نسبٌ بعيد. ونحن في ذلك نقتصّ اعلام الشرقيين اجدادنا يشهد على ذلك الكتاب المقدس في مواضع شتى

ومن آدابهم ايضًا ان يدعو الصغير مَن يشاكلهُ عمرًا وقدرًا أخًا او اختًا ومن هو اكبر سنًا عمًا او عمةً. وان كان شيخًا يناديه: يا جدي او يا جدتي (يا ستي). ولكن ذلك من حسن الادب. وكل عندنا يفهمون المشبهة فيقولون للولد: قدم اخوك. اذا قدم ابن عمهِ. فان لم يفهم اوضحوا وقالوا: جاء ابن عمك ولا يقولون قدم اخوك عند قدوم من يشاكلهُ سنًا او يوضحون بقولهم: جاء فلان اخوك

ومن ابواب الادب الذي يهتم لها اللبنانيون ان لا يبيحوا لاولادهم الصغار ان يقبلوا شيئًا من الغير او يأكلوا عندهم. فان أهديت الولد تفاحةً مثلًا ابى قبولها وان تاح عليهِ اجاب: «لستُ فجعان (او هنيان) فأقبل ذلك». والفجع عندهم عظم الشره الّا اذا كان ابوهُ ثمّة وامرهُ ان يقبل فيطيع. ويُقال عن الولد: «هذا نفسهُ كبيرة وشريف النفس»

ومن العوائد ان الاولاد في اولانهم اذا كان ضيوف اعزّاء كرام يحملون الاباريق منتصبين يتقدّمونهم لمن يستقي. وغير خفي ان الشرقي يجرع الماء بالاباريق جرعًا ولا يشرب بالاقداح الّا الراح

ومن حسن الادب ان الولد حين يُسأل عن اسمهِ ان يجيب عبدك فلان وهذه كلمة عبدك يقولها الرجل البالغ والشيخ اذا استفهم عن اسمها انسان خطير الشان رفيع المنزلة. وهكذا كان يخاطب يوسف اخوتهُ: عبدك ابونا في سلام. (تك ٤٣: ٢٨) ومثلهُ: «يا سيدي اتوسل ان يتكلّم عبدك كلمة. ولا يشتدّ غضبك على عبدك» (تك ٢٤: ١٨ الخ)

ومعلوم انّ في لغتنا العربيّة اللفظ صعب الاتقان فلا يمكن الغريب ان يحسنهُ اذا لم يولد في بلادنا وذلك اختبرهُ اهل المغرب الافاضل الذين يدرسون العربيّة. ومن حيث ان آباءنا كانوا قومًا اشدّاء ذوي بأس وقوّة فاوجدوا لغة شديدة لغة رجل ولكن والسفاءُ اراد في ايامنا قومٌ أندلعت السنتهم وقلّ نشاطهم أن يشوّهوا وجه اللغة بلفظهم البارد السيئ فحولوا القاف الفًا والسين ثاء والذال زايًا والدال ضادا الخ. وامّا اللبناني

فيكثرث جدًّا لحسن اللفظ وسلامةُ بنيهِ ويروّضهم على ذلك بعرضهِ عليهم جملًا يصعب التلفظ بها ونذكر منها شيئاً تفكهة: « قمْ يا قمقم قمْ واتقمقم قمْ على القفة قمْ كل قحاً » « حس خشيش في جب حشيش الخ » وهذه الجمل وما يحاكيها يردّدها الولد مسرعاً دون تريثٍ . وقد اخطر على بالي هذا الامر ديمستان افصح الخطباء. وابلغهم اذ كان يضع في فيهِ الحصى ليروّض لسانهُ على حسن اللهجة ولطيف التكلّم واللفظ

ولكن يؤثّر اهل لبنان التقوى وحسن السمت والعبادة على كل شيء. فتعكف الوالدة على بثّ روح الدين في جوارح ابنها ونفسهِ وعقلهِ وذهنهِ فاسمعها تعظ ابنها قائلةً :

« يا ابني قل يا عذراء. قُل يا يسوع يا ملكي الحارس احرسني يا مار يوسف كبِّرني. يا ابني اذا كنت قاعدًا فنهضت قُل يا عذراء. شدي ازري وان اهملت يُمتنا الرب ارسم اشارة الصليب قبل الاكل واجثُ راكعاً حين يقرع الجرس في الصباح والمساء ووقت الظهيرة واتلُ تبشير الملاك للعذراء. صُم ايام السبت اكراماً للبتول فتنجيك من الاخطار

« يا ابني عند النوم ارسم اشارة الصليب وقُل ابانا الذي في السماوات والافعال (اي فعل الايمان والرجاء والمحبة والندامة ) ثمّ يا عذرا تسلميني وفي ساعة موتي احفظيني . على خيرة الله على خيرة المسيح كيف ما صار مليح

« اذا وجدت كاهناً في الطريق قبّل يدهُ لانهُ نائب المسيح وحين يكون في منزلنا اجلس محتشماً ساكتاً لئلا يقصّ لك لسانك راعيهِ سمعك حين يعظ و يرشد لانهُ يهدينا الى الحقّ ويحكي لنا عن المسيح والعذراء عليها اشرف سلام والقديسين ويفتح في وجهنا باب السماء .

« يا ابني الذي يخاف الله لا تخف منهُ لا ترافق الاوباش وكن اديباً لانّ المثل يقول: مع المعوجّ تتعوّج لا تتكبّر ولا تتجبّر لان الجبر مهبط لا تتقزز من الاكل والشراب لانك لست خيرًا من المسيح الذي شرب المرارة. أطع الحاكم لانهُ يُقال حاكمك وربّك . يا ابني اذا سمعت أسم البابا الذي في رومية احنِ رأسك ومهما يَقُل فاطِع » الخ

انظرت يا صاح كيف ينشأ الصغير على حبّ الدين ويرضع مع الحليب خوف الله والميل الى الفضائل الشريفة . والعلم في الصغر كالنقش في الحجر .

## بعض ما ضرب العامّة من الامثال في الاولاد

قالوا: ابن ابنك إلك (لك) ابن بنتك لا (لان العائلة تنتسب الى الرجل لا الى المرأة). ما اعزّ من الولد الّا ولد الولد. الطفل النتّاق كثير الرضاعة (تقول العرب نقّ الضفدع صاح). الولَد ولد ولو حكم البلد. يا ويل البلد اللي حاكما (الذي حاكمها) ولدٌ. قلبي على ولدي وقلب ولدي على الحجر. الصبي المشوم يورث لاهلهِ المسبة والولد المبارك يورث المحبة. تربية الاولاد مثل تقرقش الصوّان. ان ما علّمت ابنك الدهر يعلّمه. البنات من ظهور العمات (اي انها تحاكي عمتها خَلقًا وخُلقًا). الصبي لو مال ثلثاهُ للخال (من حيث مزاياهُ وخصالهُ). لو كان خال الخال فيهِ مزيّة لا بُدَّ ابن الاخت اليهِ يعود. ابن الاخت عدوّ الخال (لانهُ يتعصب لابيهِ واقارب ابيهِ ويفضّلهم على اقارب امهِ). الوردة تخلف قردة والقردة تخلف وردة. طبّ الجرّة على تمها (فمها) تطلع البنت لامها. كل وحيد بليد — الصبي الوحيد كثير البلايا. قاضي الاولاد شنق حاله. الصبي مثل الحبقة (اي انهُ يذبل سريعًا كالزهرة ثم تثوب اليهِ العافية). مثل الصبي مع خالته (تديرهُ وتدبرهُ كيفما شاءت). طالع ورانا مسبحة (اي ان الناس تهجونا وتسبنا لقبح سيرتهِ). كيف حال الخروس (تقول ذلك لمّا تستفهم رجلًا عن حال ابنهِ). عندي واحد (او اكثر) لله (جواب لمن سأل كم ولدًا عندك)

اذا كان الولد حسن السيرة يُقال فيهِ: ثمرة مباركة وصالحة هو نعمة. نيال ابوه (هنيئًا لابيهِ) وامه. حليبه طاهر ومبارك. نيال البطن (هنيئًا للبطن) الذي حملهُ. وقد قيل في المسيح: طوبى للبطن الذي حملك وللثديين اللذين رضعتهما (لوقا ١١: ٢٧)

(ستأتي البقيّة)

# المقامات النصرانية لابن ماري

نبذة اقتطفها وذيّلها بحواشٍ وشروح حضرة الاب انستاس الكرملي

### التعريف بالكتاب وبمؤلّفه

لابن ماري كتاب مقامات مترجمة بالمقامات المسيحيّة. وهذا الكتاب لا يوجد منهُ اليوم على ما حقّقناهُ الّا نسخة واحدة وذلك في خزانة كتب جامع الحيدرخانة في بغداد. وهي نسخة قديمة

كان قد اهداها الى هذا الجامع النصرانيُّ الوجيه المرحوم فتح الله عبود في ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣م) حينما كان عضواً في مجلس الادارة. وكان العلماء يومئذ قد اجتمعوا طلباً لانشاء خزانة كتب عمومية تكون في الجامع المذكور لاستثارها عند الحاجة. وكانوا قد طلبوا من اعيان الزوراء ان يتحفوا المكتبة الجديدة بما لديهم من التآليف المفيدة فكان من جملة ما تبرع به فتح الله افندي هذا الكتاب النفيس وهو قديم الكتابة من عهد مؤلفه

وخطُّ السفر وان كان جلياً فان اغلبهُ غير منقوط كما كان يفعلهُ الخطّاطون بادئ بدء. وزد على ذلك ان هذا الكتاب قد وقع في الماء حتى انهُ تتعسَّر قراءة بعض الفاظهِ. غير انني استعنتُ في الاماكن المبهمة العويصة بالشيخ الامام المشهور محمود شكري افندي الآلوسي فحلَّ معضلاتهِ وفكَّ طلاسم معقّداتهِ وبذاك زال جانب عظيم من مشكلاتهِ ومبهماتهِ. ولا ينقص هذا الكتاب الَّا ورقة واحدة هي عبارة عن نصف المقدمة. اما كيفيَّة البلوغ الى الحصول على مستهلّها فان فقيد العلم واللغة نعمان افندي الآلوسي كان قد عثر في اثناء تجوُّلهِ في البلاد على المقدمة كلها وبعد المقابلة وجدها تُطابق بقيَّة مقدمة الكتاب الموجود في بغداد مع زيادات في المقدمة التي في يديهِ. ولمَّا كان قد علم بانني قد عنيتُ بنسخ هذا الكتاب دفع اليَّ تلك المقدمة لكي يكمل بذلك كتاب المقامات الذي يدور الكلام عليهِ

اما منزلة هذا الكتاب فمما يستطيع ان يعرف كل واحد سموَّ علوِّها من قراءتهِ لها. وقد جاء عنها في كشف الظنون ما نصّهُ: «المقامات المسيحية لابي العباس (١ يحيى بن سعيد بن ماري (٢ النصراني البصري الطبيب مات في رمضان سنة ٥٨٩هـ تسع وثمانين وخمسمائة (١١٩٣م) نسج فيها على منوال الحريري. قال ياقوت: «أجاد فيها» وقال الصفدي: «لا اجاد ولا قارب الاجادة» اه. غير ان نعمان افندي الآلوسي صاحب التآليف الشهيرة قال لي بعد ان طالعها: «اجاد كلَّ الاجادة»

# المقدمة

## بسم الله الحي القيُّوم (٣

الحمد لله الذي خص بالنطق الانسان. وعلَّمهُ افانين اساليب اللسان. ورفع

١) وفي كتاب علم الادب ١: ٢٥٧) « لابن عباس». وهو تصحيف

٢) كذا. والاصح ان يُقال ابن ماري بميم في الاول. وهو اسم مشهور بين نصارى النساطرة لانهُ اسم المبشِّر الذي دعا الى نور الانجيل الكريم سكان بلاد العراق والجزيرة

٣) القيّوم. قال القشيريُّ في الاسماء الحسنى: القيوم المبالغة من القائم بالامور. يُقال قائم بهذا الامر وقيّم وقيُّوم. فمعنى القيوم في وصفهِ تعالى انهُ المدبّر والمتولّي بجميع الامور. وقيل ايضاً هو الباقي اللازم الواحد الذي لا سبيل عليهِ للفناء. وقد اختار المؤلف هذا من اسمائهِ تعالى لان من اصلهِ «ق و م» تشتقُّ ايضاً لفظة المقامات

تراكيبِ الكلام مقامات. حتى أدّيت لبعضِ الكرامات (١

اماً بعدُ فيقول الفقيرِ الى سوابغ آلاء (٢ الباري. أبو العباس يحيى ابن سعيد بن ماري. العربي نسباً. والنصراني مذهباً. لمّا كان لذي اليد على المصطنَع (٣. عظيم نفوذٍ يُلتفت اليهِ ويُتَّبع. وردتْ اليَّ عبارةٌ من قِبَلِ مَن انا مفعولٌ لفعلهِ. سجينٌ لفضلهِ. مقتولٌ بنَبلِ نَيلهِ. ومضمون تلك العبارة. هذه الاشارة: رُبَّ كلمة تقول دعني (٤. . . وزلّةٍ في مزايا الجهل تَغني (٥. . .

وعليهِ فقد اكرهني على التأليف. والتصنيف والترصيف. من عمَّ بعوارفِهِ. وباع تاكرِهِ وعارفِهِ. وحين ابيتُ القولَ. غَمَرني بالطَّول (٦. فاذّكرت المثل: «مُكرهٌ اخوك لا بطَل» (٧. فأجبتُ المقال. وتحمّلتُ الأثقال. وانشأتُ على ما أُكابدُهُ من قريحةٍ. بالهموم قريحةٍ. وجَوارح (٨ بعماناة الوُجوم (٩ جريحة. ستّينَ مقامةً تحتوي على جدٍ وهَزل. وسهلٍ وجَزل. وأجريتُ جوادَ البديهة في ما لي أعتنَّ (١٠. وهلهلتُ بهِ (١١. كلَّ مرّةٍ عن الجادّة عَنَّ (١٢

على انَّ البديع الهمذانيَّ مع اختراعهِ واقتراعهِ (١٣. والشيخ الامام الحريريَّ البصريّ مع ابتداعهِ. في اتّباعهِ. لم يُبقيا غريبة تُقتدَح. ولا باب نادرةٍ تُفتتح. وان

---

١) في ذلك اشارة الى اقوال الانبياء والسيّد المسيح لهُ المجد التي عند التلفُّظ بها اتمّ الله آياتٍ عجيبة ٢) نِعَم

٣) اليدُ النعمة والاحسان. والمصطنع اسم مفعول من اصطنعهُ لنفسهِ اي اختارهُ لنفسهِ

٤) اي ان المُحسِن اليهِ قد كتب لهُ رقعةً يقول لهُ فيها. دعني واعتراضاتك وأعذارك. اماً قطع عبارة دعني. . . فهو من انواع المحسنات البديعيّة يُسمى عند اصحاب هذا الفن بالاكتفاء.

٥) اي ربَّ زلةٍ تَغني انك لستَ جاهلًا كما تدعيهِ او تعتذر بهِ. لان زلة الجهلة على شاكلةٍ وزلة العلماء على شاكلة أُخرى ٦) الطَّول بالفتح الفضل والعطاء والغنى والسعة

٧) مثلٌ. اول من قالهُ ابو جَشر خال بَيهس الملقَّب بنعامة. يُضرب لمن يُحمل على ما ليس يريدهُ

٨) الجوارح من الاعضاء على ما قالهُ صاحب الاوقيانوس الأيدي والارجل خاصّةً لان الانسان يجترح بها اي يكتسب بها. ثمَّ عُمّمت كما فعل العرب مثل ذلك مرارًا لا تُحصى. وبهذا المعنى الاخير قد جاءت هذه اللفظة هنا ٩) الوجوم السكوت او العجز عن التكلُّم من كثرة الغمّ والخوف

١٠) اعتنَّ لهُ الشيء اعتنانًا ظهر امامهُ واعترض

١١) اي زَجرتُهُ بجَلَا ١٢) عنَّ عن الشيء اعرض عنهُ وانصرف

١٣) ابتكاره للمعاني

الناطق بعدهما في مقامة بنت شفة(١. يرجع بحالة في الغباوة منكشفة. ثمَّ انهُ لا يخلو من معابة ذي علم. وانتقاد ذي حِلم. فيُلحَق بمن عذَر (٢. وهل يجني الثمر. مَن في السباخ بَذَر. هـذا وسوق الادب في زمانهما على سُوقٍ (٣ النَّفاق. والراغبون في نُقَرِهِ (٤ وعُيونِهِ مُلاَّك الآفاق. اما في زماننا فان انواء الفضل خاوية. وافنـان الفهم ذاوية

ولمَّا وجدتُ الامام الحريري مع غزارة علمهِ. وكثرة تفنُّنـهِ في نثرهِ ونظمهِ. قد جاذب (٥ البديع على أُصول مبانيـهِ. وضارعهُ (٦ في جُلِّ معانيهِ. وشاركهُ في نعيمهِ وبؤسهِ. ووَحشتهِ وأُنسهِ. قلتُ في نفسي: لِمَ لا اقصدنَّ اللِّحاق. دون السباق. ولِمَ لا اطلبنَّ الاتباع. دون الابتداع. وعليه فشحذتُ شبا فكرتي النابية (٧. وحثثتُ ما فيَّ من الهمَّة الآنية الوانية (٨. ونحوتُ نحوهما في جميع الأساليب. مُرتِّبًا هذه المقامات على ذلك الترتيب. غير مُحدثٍ في هذا الفن شيئًا من التغيير او التقليب

على انَّ هذه المقامات المنشأةُ بلسان الاضطرار. وتحفز الاغترار (٩. ما أَستُهِلَّ في سمائها لبيتٍ من اشعارها هِلال (١٠. ولا سُمع في أرضها لهُ إهلال (١١. ولم أُودعها من الابيات الَّا ما الفطنة نتيجتهُ. وهَلهَلَتْ (١٢ وَشيَهُ ودبَّجتهُ. فبالله أَستعين وعليهِ اتوكَّل من إيراد هِذار. ووقفة اعتذار

---

١) بكلمةٍ ٢) اي كثرت ذنوبهُ وعيوبهُ ٣) السوق الاولى هو هذا محل البيع المعروف. والسوق الثانية بمعنى السيقان جمع ساقٍ. والنَّفاق الرواج
٤) جمع نُقرة وهي وقب العين او حفرتها ٥) اي نازعهُ فيهِ
٦) شابههُ ٧) شحذت: احددت. وشبا حدّ والنابية التي قد نبت اي قد كلَّت وارتدَّت عن القطع ولم تمضِ
٨) الآنية الرافضة والوانية الفاترة الضعيفة الكالَّة المُعياة
٩) يقال: حفزهُ اذا دفعهُ من خلفهِ. والاغترار مصدر اغترَّ فلانًا اذا اتاهُ على غرَّةٍ
١٠) اي ليس فيـهِ شعر من شاعرٍ اجنبيٍّ عنهُ بل كل ابياتهِ من نظمهِ لا غير. واستُهلَّ الهلال على المجهول ظهر
١١) من اهلَّ فلانٌ اذا رفع صوتهُ بذكر الله عند نعمةٍ او رؤية شيءٍ يُعجبهُ
١٢) هلهل النسَّاجُ الثوب نسجهُ سخيفًا. ومنهُ: هَلهَل الشعرَ اي لم يُنقِّحهُ وأرسلهُ كما حضرهُ

## المقامةُ الأُولى . وتُعرف بالرُّهاويَّة

روى يحيى بن سلاَّم قال : لمَّا وَطِئتُ ارضَ الرُّها (١ . وعاد بدرُ سَعدي كالسُّها (٢ . وفارقني الأنيس . حينَ نُفِض الكيس . خرجتُ يوماً بكأساتِ الأشجان (٣ . وهي تتدفّق ممَّا فيها من سُلافة (٤ الاحزان . لخلوِّ خِواني (٥ . وتبايُن إخواني . الى شارع درب الرَّقيق (٦ . ذي النسيم المُتأرّج (٧ الرقيق . والهمّ قد اخذ مني مأخذهُ . وأنشبَ فيَّ اظافرهُ ونَواجذهُ (٨ . فقصدتهُ لأنعِشَ الخاطر الفاتر . وأُسرّح فيه طائر الناظر . واذا بفتًى يَخلُبُ اللبَّ بطَرْفهِ الفاتر . وظَرفهِ الساحر . عليهِ سَحقُ أطمارِ أخلاق (٩ . يُومأُ اليه بدماثة الأخلاق (١٠ . وقد أحدقتْ بمكانهِ أحداقُ البريَّة (١١ . وسُدِّدت نحوهُ الأرماحُ المَدريَّة (١٢ . كما تُسدَّد الرماح للَّدريَّة (١٣ . فعُجتُ بناديهِ (١٤ . لأقيس اواخرهُ بمباديهِ . وما الذي يتعاطى من الصنائع . وبضاعتهُ اي البضائع . فجاذَبتهُ أطراف الأشعار . وطارحتهُ ما نُقل عن الأحبارِ من الأخبار . فوجدتُهُ مَن لو جاراهُ جَرير . لجُرَّ بغزارة فضلهِ شرَّ تجرير . أو جاورهُ ابن السِكّيت (١٥ . لأسكتهُ ايَّ تَسكيت . او نافثهُ قُدامة (١٦ . لقبَّل أقدامَه . او فاتح الخليل (١٧ . لاتّخذهُ خير خليل . ولَرأى من نفسهِ عين النَّقص والإخلال . عند استشفاف (١٨ جَواهر تلك الخِلال . فحين رأيتُ رَجاحة وَبلهِ (١٩ . وإصابة اغراض القلوب بنَبلهِ . وقفتُ حِذاءهُ كالساهي . بعدما

---

١) بلدة قديمة في بلاد ما بين النهرين تدعى اليوم اورفا ٢) السُّها اصغر نجوم البرج المعروف ببنات نعش ٣) الاشجان الاحزان

٤) السلافة الخمرة وقيل ما يتحلَّب منها قبل عصرها

٥) الخوان ما تُنصب فوقهُ الاطعمة وقت الاكل ٦) الرقيق العبيد

٧) المتأرج ذو الأرج اي الريح الطيّبة ٨) انشبَ علَّق . والنواجذ اقصى الاضراس

٩) اي ثياب رثَّة بالية ١٠) دماثة الاخلاق لينها

١١) يريد الحضور ١٢) الرماح المدريَّة ما رُكِّب في رأسها القرون المحددة

١٣) اللَّدريَّة قوم من الخوارج ١٤) اي اقمت بمجلسهِ

١٥) من مشاهير اللغويين ١٦) نافثهُ اي حادثهُ وباحثهُ . وقُدامة بن جعفر احد كبار الادباء في اواسط القرن العاشر للمسيح . ولد من ابوَين نصرانيين وحملهُ المكتفي بالله على الاسلام ١٧) هو واضع علم العروض الشهير

١٨) استشفَّهُ تبيَّنهُ ١٩) الوبل المطر الجود كنى بهِ عن بلاغتهِ

كنتُ كالمُباهي. فلم أرَ الّا تقريعهُ برقّة حالهِ. وفرط قشَفهِ وإمحالهِ (١. مع سرعة بديهتهِ وجودة طَبعهِ. واستمداد القرائح من طِبْعهِ (٢. فأنشدَ بلسانٍ متوجع. وصوتٍ مُترَجع :

لصاحب المال ما بين الورى شرفُ ... وللعلوم على أقدارها حِرَفُ (٣
قد فقتُ علمًا وفهمًا كلَّ ذي ادبٍ ... اذا جرى دونهُ او عندهُ يقفُ
وكم تمرُّ ليالٍ لا اذوق بها ... زادًا وأُشفقُ ان ينادني التَلَفُ (٤
وللطوى بين أبناء الحشا لهب ... اذا سطا نشُؤوني دَمعها يكفُ (٥
والمرءُ بالنُّطق لا فخرٌ بملبسهِ ... والدرُّ ظاهرُهُ مع عِزّهِ الصَدَفُ (٦
لا بُدَّ من مِيرةٍ للفضل وافرةٍ ... عنـد التنقُّل والاقوال تختلفُ
يا سادةً ان عَتا دهرٌ بسطوتهم ... من حادث الدهر والايام تَنتصفُ
اني امروءٌ كَدُّهُ فقرٌ وروّعَهُ ... وحالهُ فوقَ ما يُبديهِ او يَصفُ

ثمَّ خطَمَ مَقالهُ (٧. وقال: «الاقالة الاقالة (٨. وقد كشفتُ لكم القناع. وَفيَّ الإقناع. فهل فيكم تُبلّ اللّها (٩. بما يُسنَحُ من اللُّهى (١٠». فلم يسمع منهم احدٌ هذه الدعاء. فكأنهم صخرة صمّاء. او طلب من النار الماء. فلمّا رأيتُ خُبوَّ زَنده (١١. وركود أبجارِ رَندهِ (١٢. رَمَيتُهُ بما صَحبني من النُضار (١٣. وشفعتهُ بالاعتذار المدرار. فقال: لا يُستترَرُ (١٤ عطاءُ الأَحرار. فهو بردٌ على القلوب الحِرار (١٥. فتالله ما في القَوم من جاد فأجاد. وأبدأ في السماح وأعاد. فقلتُ لهُ عند شَغَفي بمخارجِ استماحتهِ (١٦. وولَعي ببديع محاسنهِ وملاحتهِ. تُوشِكُ ان تكون سُلالةَ ابي عمروٍ البـديع (١٧. ذي القلائد الذي تفوق زهر الربيع. فتاللهِ هل اخطأ وهمي. ام قَرطَسَ (١٨ سهمي.

---

١) القشف سوء الحال. والامحال الفقر ٢) الطِّبع بكسر الاول النهر
٣) الحرفة وجه المكسب ٤) اشفق اي اخاف
٥) الطوى الجوع. ابناء الحشا الامعاء. والشؤون جوانب العين. ووكف هطل
٦) مع عزّهِ اي مع شأنهِ وقدرهِ ٧) اي وضع لهُ خطامًا وحبسهُ
٨) الاقالة العفو والصفح ٩) اللّها جمع لهاة وهي لحمة في اقصى سقف الفم. وبلّها تبريدها. كنى بذلك عن العطاء والهبة
١٠) اللُّهى جمع لُهوة وهي العطيَّة السنية ١١) خبا الزند لم يورِ. كنى بذلك عن الخيبة
١٢) الرَّند نبت طيّب الرائحة ١٣) النضار الفضّة
١٤) استتره وجدهُ نزرًا قليلًا ١٥) جمع حرّان وهو العطشان
١٦) الاستماحة سؤال العطاء ١٧) السلالة النسل. والبديع هو بديع الزمان الهمذاني ١٨) قرطس اي طاش واخطأ

فقال للهِ درُّكَ. لقد صحَّ فَرْكُك (١. فعاتبتهُ على مُفارقة ابيهِ. النبيهِ. فقال: لامرٍ ما جدَعَ قصيرٌ انفهُ (٢. وفارق إلفهُ. والخَلَّةُ. تدعو الى السَلَّة (٣. وفَرطُ القِلَّة. تُولد في المرءِ كل خلَّةٍ وعلة. ثم ابتعد عن وكرِهِ. ليخبرني بسَبرِهِ (٤. وهل غَرسهُ يُثمرُ. ام لَيلهُ يُقمِر. وها انا مذ فارقتهُ اجوب واجول. لأشنِّف اسماعي باقوالهِ ذات الغُرَر والحجول (٥. حتى وجدتهُ يومًا على طريق المُصادفة. فألححتُ عليهِ بالمرافقة. الى بعض مرامي شِحَتِهِ (٦. لاعرف الامر من قَصِّهِ (٧. وهل تُطابق في التشبيه. سيرة ابيه. فاخذ يُجيبني وما كاد يستتم الكلام. واذا شيخ قد اعتلق بكمّ الغلام. ليرفعهُ الى بعض الحكّام. او يقاسمهُ على محصولهِ لما نفحهُ بفنون حيلهِ وفصولهِ. وابى الغلام المقاسمة. وادّاهما فرط الخصام الى المُلاكمة (٨. فوقع بينهما التراضي. بالترافع الى باب محاكم القاضي. فلمَّا مثلا بين يديهِ. قصَّا القصة عليهِ. فانشد الشيخ ومدامعهُ تترَاقى. ابياتا تتضمَّن ما لاتي:

لم ازل مُحضرًا لهُ كلَّما اختارَ واشتهى طمعًا فيهِ إن أقُلْ هاتِ في الحال قال ها
ايها الحاكم الذي فاق في الفضل والنُّهى والذي تسجد الجبا هُ لما فيهِ من نُهى
اما علَّمتهُ العلو مَ ولقَّنتهُ الدها وتناهيتُ في التهذ يب طُرًّا حتَّى انتهى
مُذ امتدَّ باعهُ في مدى الارض وازدهى لا يُراعي حُقوق من عَقْدُ مالٍ بهِ وهى

فلمَّا سمع القاضي شعرهُ. اجاب إجابة من خبر امرهُ. قال: يا ويلك اتعقُّ مربّيك. اما علمت انك ومالك لابيك. أما راعاك حتى تناهيت. وهذَّبك حتى فاخرتَ وباهيت (٩. فقال الغلامُ وعبراتهُ تنحدر من مآقيهِ. وزفراتهُ تتصعَّد الى تراقيهِ (١٠: يا من اليهِ العقد والحلّ. وعلى خِنصرهِ يُعقد ما حَرُم وحلَّ. لا تُسرع بقَذعٍ وَصمٍ (١١. عن فرد خَصم. وانشد:

---

١) فرْكُك اي ظنك وبحثك ٢) مثلٌ قيل في قصير القذاعي لمَّا قطع انفهُ ليتمكَّن من الزَّبَّاء بهذه الحيلة. وقصَّتهُ مشهورة
٣) مثل معناهُ انَّ الحاجة تدعو الى السرعة ٤) السَّبر الاصل وحسن الهيئة
٥) شبَّه الكلام البديع بفرس ذات غرَّة في جبهتها وحجول في قوائمها
٦) الصِّص الصنَّارة ٧) اي من اصلهِ
٨) الملاكمة التضارب باليد مجموعة ٩) اي حتى غلبت غيرك بالفخر والبهاء
١٠) جمع الترقوة وهو مقدَّم الحلق في اعلى الصدر ١١) قذعهُ نسبهُ بالفحش والوصم الدنس

يا ايها القاضي الذي فاقَ الورى عن غُزر فهمِ
وسحاب نائلهِ على اهل الدنا في الجدب يهمي
لا تحمدنْ عودًا يرو م كَ ظاهرًا من غير عجمٍ (١
لا ترويَنَّ . خصومةً وحكومةً عن فردِ خصمِ
يرمي فيُصمي (٢ مقتلي واذا رميتُ يطيش سهمي (٣
ما فهتُ قطُّ ولا انو هُ ولو بنى شتمًا بشتمِ.
لكنَّهُ خَتمَ الجميـ لَ وما افاد بفَرطِ ظلمِ
رام البعاد ولم يَنُرْ في مطلع الآداب نجمي
وبَقيتُ رجمًا (٤ للجما عة والقيافة (٥ ايْ رجم
اشكو الطوى (٦ ومدامعي من سحها للشأن تُدمي
وَبقيتُ خمصًا لا اذو قُ الزاد من خَضْمٍ وقَضمِ
وجميع ما قد حُزْتُهُ بين الورى من فرط حزمِ
فاللؤلؤ المنظوم والـ مَنثورُ عن نَثري ونظمي
فاحكمْ فحكمك في البرا يا والقضايا خيرُ حكم

فلمَّا رأى القاضي تخصُّصهما بالادب. واستباحتهما خلاصة (٧ كلام العرب. سَنَح لهما بعطيَّة سنيَّة. ونهاهما عن ارتكاب كل دنيَّة. فرجعا عنهُ فَرِحَين. قد فازا بقِدحَين (٨. فلمَّا لَبَد العَجاج (٩. وانقطع الحِجاجُ واللِجاج. دنوتُ من الشيخ اسألهُ عن مَقَرّ عَنسِهِ (١٠. وسِنخ (١١ غَرسِهِ. فقال: انا فِهِ ممَّا ليس في الحساب. وتركني وانساب (١٢. فلم تزل تهزُّني نحوهُ نَشوَةُ الحَنين (١٣. ولم يَرُق لي بعدهُ قرين

( تمَّتْ المقامة الاولى )

---

١) عجم العود كناية عن اختبار الرجل لتُعرف داخلتهُ
٢) يقال أصمى الصيد اذا قتلهُ في مكانهِ ٣) طاش السهم اي زاغ عن عرضهِ
٤) يقال صار فلانًا رجمًا اي مجهولًا لا تُعرف حقيقتهُ
٥) القيافة الفراسة وتتبُّع الآثار ٦) الطوى الجوع
٧) استباح الشيء اقدم عليهِ وخلاصة الامر لبانهُ وصفوتهُ
٨) القِدح من سهام لعب الميسر. والفوز بهِ كناية عن الظفر
٩) العجاج الغبار. وتلبيدهُ إلصاق بعضهِ ببعض. جعل ذلك كناية عن سكوتهِ
١٠) العَنس الصخرة. ومقرها مكان قرارها. اراد بذلك الاستدلال على منزلهِ
١١) السِنخ الاصل ١٢) انساب اي جرى مسرعًا كالحيَّة
١٣) النَّشوة السكرة. والحنين الشوق

# معبد سيّدة القلعة في بلاد عكار

## لمحة تاريخيّة · للاب يوسف غودار اليسوعي

(معرَّبة بقلم نجيب باخوس)

في آخر رحلتنا الحديثة الى بلاد عكّار (المشرق ٣ : ٤٦٠) وعدنا القراء ان نذكر لهم تاريخ معبد السيدة المعروفة بسيدة القلعة . فقياماً بهذا الوعد اثبتنا هنا هذه اللمحة التاريخية التي جمعها الاب غودار عن اصدق التقاليد (المشرق)

لقد بزغت شمس هذا المعبد في سماء بلاد عكّار فانارت ربوعًا سقتها البتول بصيّب النعم وفائض البركات فكثر الكلام في شأن هذه السيدة ومعجزاتها العديدة حتى وجدنا لنا مندوحة ان نأتي على ذكر ما اتصل بنا من آثار هذا المعبد العريق في القِدم واخبارهِ السالفة فانها لجديرة بالذكر :

فهو مبني في منتصف الطريق التي تصل طرابلس بحمص ويستلفت اليهِ عن بُعد انظار المارّ من هنالك لما هو عليهِ من حسن الموقع وزخرف البناء · واذا ما استطلعتَ طِلعَةَ ابناء تلك الديار واستخبرتهم عن ماضيهِ العجيب اخذوا يسردون لك من اخبارهِ ويقصّون على مسامعك من عجائبهِ ومعجزاتهِ ما ترتاح اليهِ نفسك وتقرّ بهِ عينك · فهلمَّ بنا الان لنسير في الطريق التي تؤدّي اليهِ

فبعد اجتياز قرية عزير نهبط مسلكًا وعرًا ذا اعوجاج الى وادي « نهر الكبير » فيظهر لنا عموديًا سهل مرتفع يُعرف بسهل « السيدة » يخالهُ الناظر عند ملتقى هذا النهر بساقيتي منجس وكويشرا صدرَ سفينة رست في تلك المياه ساخرة بالرياح العاصفة لعجزها عن التلاعب بها

وبينا انت هابط من منحدر ذلك الوادي يقتاد طرفك القرير مياه نهر الكبير المذكور المعروف عند الاقدمين باسم الوتاروس التي تنساب بين تلك المروج الخضراء حتى تصبّ في البحر الذي تراهُ عن البعد على شكل نصف دائرة او هلال ازرق اللون

امّا بسطة هذا السهل فهي عقيمة جرداء لا يقع فيها بصرك الّا على بعض اشجار من السنديان ورؤوس من الماعز ترتع فيها وتزيل وحشة ذلك المكان بيُعارها (١ المتقطّع · ثم يأخذ هذا السهل يضيق شيئًا فشيئًا حتى ينتهي في وادي منجس · ومن

١) صوت الماعز خاصةً

اشرف على سطحهِ راقهُ حسن المشاهد التي يتمتَّع بهـا اذ يرى البحر منبسطاً امامهُ ويشاهد جبال لبنان وذرى عكّار السامقة كأنّها المعاقل او الحصون المنيعة تحدق بهذا المكان وتصونهُ

### ١ قلعة فليس

ثمَّ ان طرف السهل المذكور ينفصل عن باقيهِ بخندق عظيم عرضهُ نحو من خمسين متراً وعمقهُ زهاء العشرين قد نقرتهُ في الصخر يد الانسان. وفي هـذا الطرف المنفصل ترى بقايا قلعة قديمـة تعرف عند سكّان تلك النواحي « بقلعة فليس او فليكس » (١ منها قطع عظيمة من الحجر البركاني ورسوم كنيستين وغيرها من الابنية ورؤُوس اعمدة قد رُسم عليها الصليب وحفرة عميقة في اسفلها ثلاث آبار (٢

ومن الراهن الثابت ان المسيحيين في القرون المتوسطـة قد اقاموا في تلك القلعة وخفقت اعلامهم فوق تلك الرابيـة المرتفعة لما شاهدوا من مناعة هذا الموقع. وكان المستولي عليهِ جلبار دي بوي لوران ( Gilbert de Puy-Laurent ) وكان فيهِ سابقاً حصن دُعيَ جلبار وما الآثار الموصوفة آنفاً الا بقاياهُ

ثم ابتاعهُ منهُ ريوند امير طرابلس بما يبلغ قدرهُ الآن ٤٥٠٠٠ فرنك وذاك مبلغ ذو شأن عند ابناء ذلك العصر يدلّ على اهميَّة وخطورة هـذا الحصن المنيع. وسنة ١١٤٢ م استولى على فليس وعـلى حصن الاكراد (Krak) فرسان القديس يوحنا المعروفون عند العرب بالاسبتلار فوسَّعوا نطاق هذه القلعة التي اصبحت تشغل هامـة تلك القمة بتمامها وبنوا لهم كنيسة فسيحة الجوانب اكراماً للقديس يوحنا شفيعهم (٣.

---

١) Casal Félicium اجمع المؤرخون ان هذا القصر كان في جوار عرقا وبواسطة هذه البينات تمكن الاب برنيه اليسوعي والموسيو دوسّو ( Dussaud ) من معرفة آثارهِ وجزما بانهُ ليس هو الّا « قلعة فيلس » وكشف المسيو دوسو الحجاب عن ذلك في مقالة نشرها في مجلة الاثار القديمة تحت عنوان « الرحلة السوريَّة Voyage en Syrie » بتاريخ تشرين الاول والثاني من سنة ١٨٩٦ . وقد اخذنا معظم ما تشتمل عليهِ هذه اللمحة من الفوائد التاريخية عن حضرة الاب برنيه اليسوعي وعن الاخ تاودور الذي عني بهندسة المعبد الحديث وعن بعض ذوي الخبرة والمعرفـة من السكان

٢) قد وجدوا بين تلك الآثار رؤُوس نبـال ونصال ونوعاً من المشاعل وغير ذلك من الماديَّات التي ترتقي الى القرون المتوسطة

٣) لم يزل لهذا المعبد المسيحيون والمسلمون المجاورون يسمونها بهذا الاسم

فكان الناظر من قرية عزير الى هذا الحصن المنيع يحسبهُ شبح فارس رابط الجأش ثابت الجنان قد وقف هنالك لا يبدي حراكًا ليراقب حركات العدوّ ويستطلع اخباره. وكان رقيبهم يأوي ايام الحرب الى مرقبهِ يرصد ويراقب ما يحدث من الامور في وادي نهر الكبير وفي مسالك مدينة طرابلس وبلاد عكّار المنخفضة من ناحية حصن حمص وسهولها الوسيعة

واذا ما ارخى الليل سدولهُ كان ذلك الرقيب يتبادل الاشارات والرموز بواسطة الانوار مع « حصن صافيتا » (Castel-Blanc) الذي يُرى في الجهة الشماليَّة بين مضيق هاتيك الجبال. وكان ينبئ ايضًا بوفود البُرد القادمين من قصر عرقا ومن حصن الأكراد الذين مرَّ ذكرهما وبهذه الواسطة لم تنتطع العلائق بين قلعة فليس وهذه المراكز المنيعة بل كانت متواصلة

وكان سكان المنازل المجاورة لقلعة فليس التي تبلغ المائة منزلًا يلجأون الى هذه القلعة فيعتصمون بها في النكبات الملمة بهم

٢ المعبد القديم واصل نشأتهِ

واذا ما اجتزنا ذلك الخندق العظيم السابق وصفهُ يأخذ طرَف السهل المذكور بالاتساع والطول امامنا شيئًا فشيئًا حتى نصل الى معبد سيدة القلعة الذي يتنابهُ الزوار من عهد قديم على حين ان التاريخ لم يقفنا على ذكرهِ غير ان ما ذكرهُ الاقدمون عن قلعة فليس في السنين الغابرة يهدينا الى معرفة النزر اليسير من اخبارهِ وشؤونهِ القديمة

فمن زهاء عشرين سنة كان هذا المعبد خرابًا يستدلّ على كيانهِ من آثارهِ القديمة وليس من احد كان يقطن في تلك الناحية غير انهُ كان يُرى بعض الاحيان ان بعضًا من سكان تلك الديار يقصدون ذلك المعبد فيجثون للصلاة امام طلل اشبه بمذبح ذي حجارة ضخمة غير منتظمة. وفي يوم تذكار ميلاد العذراء الواقع في ٨ ايلول كان الزوار يزدحمون هنالك على اختلاف مذاهبهم فيحتفلون لسماع قدّاس كبير يقيمهُ بعض الكهنة فوق ذلك الطلل المنتصب هنالك منذ اجيال. وعددهم حينئذٍ يُربي على المئات والالوف وكنت اذا استعلمت احدهم سبب ازدحامهم في هذا المعبد الخراب يجيبك بقولهِ: « اننا بذلك نقتفي آثار آبائنا واجدادنا الذين لم يهملوا قط في مثل هذا

اليوم الحيّ الى هذا المكان المبارك الذي اقامت فيهِ العذراء »

فالى هذا الحدّ تتصل معرفة سكان تلك النواحي بماضي معبد هذه السيدة القديم. وكنّا نودّ لو يتسنى لنا ان نستقرئ كامل اخبارهِ ونستخرج كامن اسرارهِ ونكشف الحجاب عن وجه حقيقتهِ ولكن قلّة البيّنات الواضحة والادلّة الراهنة تضطرّنا الى ان نقتصر على ذكر ما يلي وان كان لا يتعدّى حدّ التخمين والترجيح

يترجّح ان زمان بناء هذا المعبد يرتقي الى عهد نصارى القرون المتوسطة لانهُ لم يسكن بعدهم تلك الرابية الّا شعوب من غير المؤمنين (١ وذلك في ازمنة متقطعة. فينتج من ثمّ ان هذا المعبد كان موجودًا قبل اولئك الشعوب وقد اصابهُ بعد ذلك ما اصاب غيرهُ من الابنية المسيحيّة القديمة التي اخنى عليها الزمان وتلاعبت بها ايدي الحدثان. وقد جاء في تاريخ فرسان القديس يوحنا(٢ المذكورين ما يثبت هذا الترجيح ويجعلهُ من عداد الحقائق المبنية على اساس متين لانهُ يصرّح بان هؤلاء الرهبان قبل ابتياعهم قلعة فليس بزهاء ١٤ سنة كانوا قد استولوا على نقطة متسعة في تلك الرابية وذلك في سنة ١١٢٨ م وبما ان قلعة فليس كانت تشغل بسطة ذلك الطرف بتمامهِ ولم يكن على سطح هذا السهل المرتفع سوى اطلال المعبد المذكور يمكننا ان نستنتج من ذلك انهم اقاموا باديء بدءٍ في فناء هذا المعبد وانهم بنوهُ او على الاقل رمّموهُ (٣

وممّا ينبئنا بهِ التاريخ ايضًا ان الافرنج كانوا يكثرون التراداد لذلك العهد الى المشرق لزيارة معابد مريم العذراء كمعبد سيدة طرطوس الواقع شمالي طرابلس ومعبد سيدة صيدنايا على كثب من الشام ومعبد سيدة الكرمل. فكانت مراكبهم وسفن البندقيّة تاتي كل سنة هذه الديار في شهري حزيران وآب مقلّة عددًا وافرًا منهم فترسو بهم في ميناء عكا فتأتي للاقاتهم جماعة من فرسان الهيكل يرافقونهم في زياراتهم للاراضي المقدّسة ولسيدتي طرطوس وصيدنايا. وبعد ذلك كانوا يروّحون نفوسهم بزيارة ارز لبنان

١) كالتركمان مثلًا الذين بنوا اكواخهم ويوجد المقبرة على دعائم هذه القلعة من عهد ١٠٠ سنة ولم يغادروا هذا المحل الّا من نحو خمسين او ستين سنة لقلّة المياه

٢) Delaville-Le Roulx : *Cartulaire général des Hospitaliers* (I, 77)

٣) يؤيد هذا الاستنتاج آثار الآبار الثلاث المتفرّقة التي مرّ الكلام عليها

الشهير (١٠فلا ريب ان بعضهم كانوا يتبركون ايضاً بزيارة سيدة القلعة التي كان بدرها في ذلك الزمان ساطعاً في سماء تلك الاصقاع

وكان فرسان القديس يوحنا المقيمون هنالك قبل ذهابهم الى ساحة القتال واقتحامهم غمار تلك الاهوال يطرحون على اقدام هذه السيدة اسلحتهم لتباركها ولتهبهم النصر المبين. فبعضهم كان يلقى منيّتهُ في الذبّ عن الدين وبعضهم كان يرجع مضرَّجاً بدمائهِ او فاقداً احد اعضائهِ فيجثو ايضاً امام العذراء شاكراً لها لانهُ كان يعزو اليها نجاتهُ من مخالب المنون

ولعلَّ القتال قد اشتبك اكثر من مرَّة امام القلعة على مقربة من هذا المعبد (٢. ومن ذلك الحين اخذ السكّان عموماً والموارنة خصوصاً يكثرون من التردُّد الى معبد سيدة القلعة الذي بدا لهم فيهِ من المعجزات والعجائب ما مكّن في قلوب جميعهم بل في قلوب الغير المؤمنين ايضاً الاعتقاد بعظمة هذه البتول وقدرتها العجيبة وحملهم على مزاولة الاستغاثة بها وسط تلك الاطلال البالية من محن الحياة وبلاياها

فكل ذلك يسني لنا سبيلاً للحكم الفصل بان بناء هذا المعبد يرتقي عهدهُ الى ايَّام المسيحيين في القرون المتوسّطة. ومع هذا لا يبعد ان يكون هذا المعبد قد وُجد في زمان قبل زمانهم لانهُ يستحيل على اناس مختلفي الاديان ان يُجمعوا على التقاطر لزيارة هذا المعبد دون ان يسبق لهم زمان كانوا فيهِ على دين واحد

ومن المقرَّر ان الدين المسيحي قبل ان يغزو العرب بلاد عكّار كان منتشراً هنالك حتى ان سكّان تلك الديار وان لم يكونوا كلهم كاثوليكيّين فقد كانوا كلهم مسيحيّين ولكن لمّا استفحل العرب هنالك وقويت شوكتهم وامتدَّت سلطتهم تصدَّع شمل المسيحيين ودان بعضهم بالاسلام

ومع ما وقع بينهم من التفرُّق في الدين قد لبثوا على عادتهم القديمة من الاجتماع كل عام في فناء هذا المعبد الدارس في اليوم الثامن من شهر ايلول للاحتفال

١) راجع تاريخ مملكة اورشليم اللاتينية Conder : *The latin Kingdom of Ierusalem*, p. 190

٢) قد عثروا على مقربة من بعض مداخل القلعة المذكورة على اسنَّة نبال شديدة الانحناء تشير الى ذلك

بتذكار ميلاد السيدة مريم البتول صاحبة ذلك المقام عليها السلام. كبنين متفرّقين ترطهم رابطة الحنان البنويّ لهذه الام البتول التي ما برحوا من قديم الزمان ينضوون تحت لواء حمايتها. فهذا الاجتماع العام الذي يضمّ اولئك السكّان على اختلاف اديانهم هو وحده كافٍ لان يُثبت ان هذا المعبد كان موجودًا قبل ظهور الاسلام لمّا كان ملوك الروم يملكون الشرق بالسؤدد والفخر

وفضلًا عن ذلك فان بين الآثار المسيحيّة المكتشفة في نواحي عكّار بقايا معابد كانت مشيدة اكرامًا للبتول وكتابات عديدة على الحجارة كهذه: «منزل العذراء مريم — الى العذراء مريم — هنا يقيم ابن الله ووالدته مريم» الخ. وكل ذلك يدلّ على تمسّك اولئك السكّان منذ القدم باهداب عبادة العذراء مريم. أفلا يمكننا بعد ذكر ما تقدّم ان نجعل معبد سيدة القلعة في عداد تلك المعابد القديمة ؟ اي نعم وان لم يكن ثمّت دليل لامع يؤكد هذا الامر ويثبتهُ تمامًا

وما لا مرية فيه ان تلك الرابية كانت مأهولة على عهد الوثنيين. فانهُ قد اكتشفت في مكان معبد السيّدة كتابتان يُستدلّ منهما على هذا الامر (١) ولعلّ الفينيقيين كانوا شيّدوا هيكلًا لبعض آلهتهم في هذا المقام وكان دأبهم ان يقيموا هياكل لاصنامهم على كلّ قمّة من قمم لبنان لاسيما اذا كانت حسنة الموقع بهيجة المنظر كما بيّن ذلك رينان في رحلتهِ الفينيقيّة. وعلى هذا يكون معبد سيدة القلعة كآية انتصار البتول على الاوثان كما محقت ذكر الزهرة في حمص وبيتوقيقي وقيصريّة لبنان (عرقا). فاستوت على قمّة تلك الرابية المرتفعة «مشرقةً كالصبح جميلة كالقمر مختارةً كالشمس مرهوبةً كصفوف تحت الرايات» (نشيد الانشاد ٦: ٩)

ويؤمل اكتشاف آثار غير هذه تزيل كلّ ريب في ذلك

---

١) قد كتب على احداها اسمٌ يونانيٌّ بدوهُ ..ΔΑΦΑΘ. اما الثانية فهي مكتوبة باليونانية على قطعة من الحجر البركاني وترتقي الى الجيل الاول من النصرانية هذا حرفها مع تتمّة الفاظها بين هلالين

᾿Ετο(υς)..υ′ ᾿Αρ(τε)μι(σίο)υ Δα.ας Βε(ε)λβα(ράχου).

وقد فسّرها الاب لامنس (في مجلة الشرق المسيحي س ١٨٩٩ ص ٥٧٩) كما يأتي: «هذا تاريخ المسمّى داداس (او داماس) مات في شهر ارتميس في السنة ٤٠٠ (للاسكندر الموافقة لسنة ٨٨ م)

٣ الاحتفال بالزيارة

مهما كان الامر من بداية هذا المعبد واصل نشأته فقد اعتاد سكان تلك النواحي منذ القدم انتياب هذه الرابية المنفردة لزيارة معبد العذراء والابتهال اليها وسط تلك الاطلال البالية دون ان يحول البعد بينهم وبين قضاء هذا الفرض الذي اخذوهُ عن اجدادهم فكانوا يأتونهُ على بعد ثمانية او عشرة فراسخ واحياناً على ابعد من هذه المسافة

وفي بادئ الامر لم يكن ثمت سوى طلل من الحجارة الضخمة على هيئة مذبح يظلّله ثلاث اشجار من السنديان فيصلون امامهُ ويضعون هنالك تقادمهم وهداياهم. امّا اليوم الثامن من شهر ايلول الواقع فيهِ عيد هذه السيدة فكان يوماً مشهودًا يحدث فيهِ على بسطة تلك الرابية من المظاهرات العديدة ما يحرك عواطف القلوب ويؤثر فيها اشدّ التأثير. ففي عشية ذلك اليوم كانت الرابية تغصّ على رحبها بجمهور الزائرين القادمين من اطراف بعيدة. فتارةً كانوا ينكبون على الصلاة واخرى كانوا يترنمون بمديح البكر مريم. وذلك برئاسة كاهن قرية منجس المجاورة

واذا ما جنّ الليل كانوا يتوسّدون تلك الاطلال او يستظلون ببعض الاشجار فيرقدون في ذرى البتول التي ترعاهم بعين لا تنام. وعند انبلاج الصبح كانوا يهبّون من رقادهم باصوات الفرح والتهليل تجاوبهم جماعات عديدة قادمة من قرية منجس وعزير ودبابية وكفرنون ورماح وغيرها من القرى صاعدة الى هذه الرابية التي هي مطمح ابصار الجميع في مثل هذا اليوم الذي كانوا يصرفونهُ بين هزّة طرب وصفاء ورغدٍ وهناء.. وكان كل منهم يباهي صاحبهُ وينافسهُ بزخارف ملبوسهِ او بجوادهِ الذي يسبق الرياح وقد البسهُ سرجاً انيقاً يملك النظر او بسلاحهِ الغالي الثمن الحسن الطلق حتى يُخيل اليك يومئذٍ ان ثروة بلاد عكار بتمامها قد عُرضت في سوق المناظرة امام سيدة القلعة. وبعد ذلك كان يزدحم الزائرون على اختلاف عوائدهم ومعتقداتهم وجميعهم يقصدون من زيارتهم تكريم هذه السيدة التي كان يجلّها سلفاؤهم ويكرّمها اجدادهم فيحتفلون بقدّاس كبير ترتفع فيهِ اصوات صلواتهم وابتهالاتهم حتى تملأ آذان السماء.. ثم ينفرد كلٌّ بعائلتهِ ويجلس معها للطعام. وكان يحدث احياناً ان بعض الزوار وفاء لنذرهِ يقوم بنفقة مأدبة عامّة يدعو اليها لفيف الحاضرين. وبعد الفراغ من الطعام

كانوا كلهم يلهون ويطربون ويسترسلون الى الفرح والسرور . فنهم من كان يشدو ويترنم بالالحان الوطنيَّة المعروفة عندهم ومنهم من كان يتمايل طربًا ويصفق بيديهِ ويخالف بين رجليهِ موقعًا رقصهُ على اصوات المزمار ورنَّات النقر على الدفوف وقرع الطبول ومن الفرسان من كانوا يتبارون ويتسابقون ويعمدون الى اللعب المعروف « بلعب الجريد » الى غير ذلك من دواعي المسرَّة والطرب المألوفة في اعيادهم الاحتفاليَّة

ثم ينفرط عقد هذا الجمع بعد ان يأخذ كل منهم لعليلهِ قبضةً من التراب الذي هو حوالي المذبح وقليلًا من ماء البئر المحفورة بين تلك الآثار (التتمة للقادم)

# الخوري الشاعر ارسانيوس الفاخوري

نبذة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

تحضُّنا الاسفار الكريمة (ابن سيراخ ٤٤) على « مدح الرجال النجباء ذوي الفضل والاقتدار الذين تخرَّجوا في أقوال الحكمة وانشدوا قصائد الكتاب ممَّن انشأ الربُّ فيهم مجدًا اثيلًا وأبدى على يدهم عظمتهُ منذ الدهر . فاجسامهم دُفنت بالسلام واسماؤهم تحيا مدى الاجيال » . على اننا لا نشكُّ في انَّ المثلَّث الرحمة الطيّب الذكر الشاعر المطبوع ارسانيوس الفاخوري احد هؤلاء الرجال الذين يستحقون مثل هذا الثناء لما جمعهُ في شخصهِ الكريم من سعة الفضل ونجابة العقل وسموّ المدارك وعلوّ الهمَّة . فذلك ما حملنا على تدوين شيء من اعمالهِ المبرورة وذكر تآليفه المشكورة التي احرزت لهُ بين مشاهير السوريين في عصرنا مقامًا ممتازًا . ولا نرى بدًّا في مقدّمة هذه النبذة الوجيزة من شكر آلهِ وانسبائهِ الافاضل لاسيما حفيد عمهِ الشاب الاديب والاستاذ البارع يوسف افندي الفاخوري لما تكرَّموا علينا بهِ من الافادات

## ١

ولد هذا الفقيد الجليل سنة ١٨٠٠ (١ في قرية بعبدا من ابوين فاضلين ورعين . وكان اسم جدّهِ ابراهيم (٢ واسم ابيهِ يوسف وولد ليوسف ثلاثة بنين سعد ويوسف

---

١) كذا افادنا جناب يوسف افندي الفاخوري . وفي العدد ٣٨٧ من جريدة المصباح انهُ ولد سنة ١٨٠١ . والله اعلم ٢) وابو ابراهيم يدعى يوسف كان يسكن بيروت فدعي لذلك بالبيروتي ولُقّب بالفاخوري لانَّهُ ضمن فواخيرها مدَّةً ثمَّ انتقل الى بعبدا

وفارس. واشتهر منهم يوسف فانهُ رقي الى درجة الكهنوت وخدم كنيسة بيروت زمنًا طويلًا واشتهر فيها بتقواهُ وغيرتهِ ونزاهتهِ قيل انهُ عُرضت عليهِ الاسقفيَّة فرفضها تواضعًا. وقد اوقف عند وفاتهِ كلَّ اموالهِ على الكنيسة التي خدمها في حياتهِ. وكانت وفاة سعد الاخ الثاني سنة ١٨٥٩

امَّا فارس فكان اشهر إخوتهِ واوسعهم فضلًا واغزرهم عقلًا وهو اسم الخوري ارسانيوس عُرف بهِ الى زمن كهنوتهِ. وظهرت على وجههِ ملامح الذكاء منذ صغرهِ فارسلهُ والدهُ سنة ١٨١١ الى مدرسة الروميَّة فبقي فيها مدَّة. ثمَّ أدخلهُ سنة ١٨١٤ مدرسة مار انطونيوس المشهورة بعين ورقا

وكانت عين ورقا في ذلك العهد اشهر مدارس لبنان كان انشأها في سنة ١٧٨٨ البطريرك الطيّب الذكر يوسف اسطفان واخوهُ المطران الجليل بولس مع بقيَّة اسرتهما الفاضلة. وجعلوا لها من المعلمين كهنةً علماء كانوا تخرَّجوا في المدرسة الرومانيَّة فزهت مدرسة عين ورقا بالعلوم النحويَّة والمنطقيَّة واللاهوتيَّة مع تعليم اللغات الاجنبيَّة وما عتمت ان صارت بعد قليل من الزمان موردًا يتوارد ليستقي من ينابيعهِ الصافية اولاد الشيوخ والاعيان من كلّ انحاء لبنان

ولمَّا دخل فارس تلك المدرسة انكبَّ فيها بكل نشاط الى درس العربيَّة بكلّ فروعها والطليانيَّة واللاتينيَّة والسريانيَّة والمنطق والفلسفة واللاهوت النظريّ والادبي والحقّ القانوني والشريعة المدنيَّة ونبغ بجميعها حتى اصبح ممَّن يشار اليهم بالبنان في عصرهِ

وممَّا تفرَّد بهِ درس التاريخين الديني والدنيويّ. روي عنهُ انهُ كان يسرد حوادث الازمنة السالفة ببداهة عجيبة حتى انَّ من يسمعهُ كان يُخيَّل لهُ انهُ يقرأ كتابًا مطولًا بازاء عينيهِ لا انهُ يذكر ما استظهرهُ بالدرس وحفظهُ على ظهر القلب. وكان مع ذلك كلفًا باخبار العرب عالمًا بايامهم واعيًا لامثالهم يروي عن قدماء شعرائهم ما تيسَّر لهُ من القصائد. فجادت بذلك قريحتهُ واخذ ينظم الشعر الجيد السَّلس

الَّا انَّ حبَّ الشماس فارس للعلوم لم يصرف نظرهُ عن احراز الفضائل المسيحيَّة فكان يوطّن نفسهُ على ضروب البرّ والصلاح ويتروَّض في سبيل التقى والورع حتى انَّ رؤساءهُ كانوا يعرضونهُ كمثال لجميع الطلبة. ثمَّ انتدبوهُ الى التعليم سنة ١٨٢٤ في

مدرسة عين ورقا فوجدوهُ استاذًا حاذقًا يحسن تلقين العلوم لغيرهِ كما برع هو فيها بنفسهِ. ومن تلامذتهِ غبطة السيّد البطريرك السعيد الذكر بولس مسعد. قيل انّ الفقيد آخذ يومًا تلميذَهُ لبعض قصور صدر منهُ في دراسة امثولتهِ فقال لهُ أحد الكهنة الافاضل اسمهُ عبد الله: يا معلّم فارس أهكذا توبّخ من يصير يومًا بطريركًا على الطائفة المارونيّة؟ . وكان الخوري ارسانيوس يروي بعدئذٍ هذه الفكاهة ويتعجّب من فراسة قائلها

وفي تلك الاثناء استأثر الله بنفس والدهِ يوسف فمات ميتةً صالحة في سنة ١٨٢٥ فقال ابنهُ فارس يرثيهِ وهي اول قصيدة بلغتنا من نظمهِ:

ما في بنا هذي الديار خلودُ والى هيولاها الجسوم تعودُ

وهي طويلة نقتطف منها بعض ابياتها:

لا خير في الدنيا على الاكدار قد طُبعت فصفوًا كيف انت تريدُ
أفمن غراب البين تُؤمّل نغمةً حسناء او من صوتهِ التغريدُ
فالدهر خدّاعٌ يعلّل بالمُنى واليك بجمٍ غائلًا ويكيدُ
قد كادني ورمى بسهمٍ صائبٍ مَن منهُ لي في الكون تمّ وجودُ
اشكو بعادك يا ابي وأودُّ لو انّ المسبّب البعاد بعيدُ
وابيك احدٌ من ينادي يا ابي يا ليت في هذا انا محمودُ
قد عاد بعدك مأنسي في وحشةٍ وعلا موائد عيشتي التنكيدُ
ابكيك في اكلي وشربي تائحًا وانا بنوحي والبكاء فريدُ
كيف التصبر والتجلّد والمنا يا حسرتي ومدى الفراق بعيدُ
ما لي عزاءٌ غير تقواك التي مارستها حتّى حواك صعيدُ
قد عشتَ في حبّ الالهِ وحبُّهُ يومًا فيومًا فيك كان يزيدُ
لا شكَّ انك قد حظيتَ بغبطةٍ منهُ جزاءً والنصيب سعيدُ

وبقي الشماس فارس في منصب التدريس سنتين الى ان اتّصل خبرهُ بغبطة السعيد الذكر البطريرك يوسف حبيش فاستدعاهُ الى كرسي البطريركيّة في بكركي ورقّاهُ الى رتبة الكهنوت سنة ١٨٢٦ ودعاهُ باسم ارسانيوس. وكان بتولًا

٢

ورغب البطريرك المذكور ان يتولى الكاهن الجديد القضاء في جهات لبنان فوجّههُ الى المطران جبرائيل الناصري وهو وقتئذٍ من مشاهير قضاة الجبل في ايّام اصيل...



صورة الشاعر الشهير والكاتب النحرير
الخوري ارسانيوس الفاخوري

السيّد البطريرك يوسف حيش ان يرجع الى كرسي القصادة الكاتب السابق فلبّى غبطتهُ طلبة القاصد وخدم المرحوم ٦ سنوات القصادة الرسوليَّة بكل نشاط . وهو الذي عرَّب المناشير التي الَّفها السيّد اوثرني وطبع منها قسماً في الشوير وقسماً في مطبعة طورسينا

وكان الخوري ارسانيوس يرافق القاصد الرسولي في اسفاره كلها ويتولى معهُ الارشاد والرياضات الروحيَّة . ولمَّا بلغ امر الكرسي الرسولي في سنة ١٨٣٦ السيد اوثرني يوعز اليهِ بان يذهب الى بغداد ويُصلح خللًا وقع في كنائس تلك البلاد خرج معهُ الخوري ارسانيوس بيد انهُ ابتلي بمرض في اللاذقيَّة فاضطرَّ الى الرجوع الى لبنان

وتوفي بعد ذلك بقليل السيّد اوثرني في ديار بكر مصاباً بالهواء الاصفر في ١٢ تشرين الاول سنة ١٨٣٦ . وبقي الخوري ارسانيوس زمناً معتزلًا عن الاشغال في بيتهِ . بيد انَّ كثيرين اخذوا يترادون اليهِ ليتلمذوا لهُ ومنهم السيد ريشرد وُوْد (Wood) احد رجال الدولة الانكليزيَّة وكان كاثوليكيًّا ذا جاهٍ عظيم ونفوذ كبير تعلَّم اللغة العربيَّة عند الخوري ارسانيوس فاتقنها . وقد امتدح المعلم تلميذَهُ بعد ذلك سنة ١٨٤١ بقصيدة عامرة الابيات اثنى فيها عليهِ لسعيهِ في مساعدة الدولة العليَّة ونجاة سوريَّة من الدولة المصريَّة . وهذا مطلع القصيدة:

قم راحْ راحةُ الندماء تُجلى بكاسٍ كُلِّلت ببهاء

الى ان قال:

فتعطَّرت انفاسنا منها كما قد عُطِّرت بمديح ذي الآلاء
ريشرد وُودٍ من علا بمناقبٍ وبلاغةٍ وبراعةٍ وذكاء
ندبٌ تسامى بالسجايا والحجى ومكارمٍ جلَّت عن الاحصاء

ومنها:

ورعى الليُّ الربُّ ريشردَ الذي نجَّى معاهدنا من الضرَّاء
وافى وبحرُ الجود يملو طامياً متبجّجاً من ريحهِ النكباء
من مصر كان مهبُّها فربوعنا وديارنا بادت بذي الانواء
بل ارضنا غرقت بلجّ مياهِهِ اذ حولها دارت كما الارحاء
فاتانا من لجّةٍ بجهادهِ وبهِ خرجنا من ثجيج الماء
فكانهُ موسى مخلِّص قومهِ قد شتَّت الاعداء في البيداء
من ظلم مصر قد نجت اقطارنا بتريب فعل عن يدٍ بيضاء
وجنودهم ولَّت لشدَّة عزمهِ تبغي التخلّص من طلول دماء
والى اراضي مصرَ عادوا وانثنوا في خيبةٍ بل ذلَّةٍ وبكاء

وبقي السيد وُود مدَّة في سوريَّة تربطهُ والخوري ارسانيوس روابط الأُلفة والولاء

ولمَّا استرجعتهُ دولتهُ الى انكلترة ابى ان يعود دون ان يشكر لاستاذهِ فضلهُ وقدَّم لهُ مبلغًا من المال يُدفع لهُ كراتب سنوي ما دام حيًا ولورثائهِ بعد وفاتهِ. فرفض الخوري هبتهُ لشرف نفسهِ وكرم طباعهِ. وقد سنحت الفرصة لهذا الرجل الشريف ان يمرَّ ببيروت منذ ثلاث سنوات فاحبَّ ان يفتقد استاذهُ القديم في لبنان ولمَّا علم بوفاتهِ بدت على وجههِ امارات الحزن وطلب ان يجتمع ببعض آلهِ الكرام ليبثَّ لهم ما انطوى عليهِ صدرهُ من عواطف المنَّة لمعلّمهِ السابق. فلمَّا رآهم اخذ يبكي متأثرًا لمنظرهم وافاض امامهم بمديح الخوري ارسانيوس صديقهِ الحميم

وفي سنة ١٨٣٨ توفّي قاضي نصارى لبنان المطران جبرائيل الناصري فلم يجد الامير بشير الشهابي الكبير رجلًا احقَّ بهذه الرتبة من الخوري ارسانيوس لما بلغهُ من علمهِ وفضلهِ فقلَّدهُ القضاء. وكان وقتئذٍ ديوان القضاء في جونية فلمَّا اتاها المرحوم كان اول ما كتبهُ فيها تاريخًا لضريح سلفهِ الجليل ومعلّمهِ النبيل المطران جبرائيل فقال:

حزتَ الفخار ايا ضريحُ ضمنتَهُ حبرٌ امين بالجهاد أصيلُ
نقضى الالهُ لهُ بمجد راسخٍ قد من قاضٍ قضاهُ فضيلُ
بشراك فالمولى يقول هلمَّ يا عبدًا امينًا ساد وهو خليلُ
فلك المنا مولاي بل ارِّختُ ها فقتَ الملا بيشارة جبريلُ

واستمرَّ الخوري ارسانيوس يقضي في مركزهِ بكلّ حقّ وعدل. وكان هذا الرجل البارّ لا يأخذ بالوجوه ولا يحابي احدًا في الحكم وينتصر للضعيف من القوي وللفقير من القدير حتى شاع فضلهُ في كلّ لبنان. وكانت الدروز والمسلمون فضلًا عن النصارى يتحاكمون اليهِ ويرضون بما قضى لما يعلمون من استقامتهِ ونزاهة نفسهِ. وكان مع ذلك لا يحبّ هذه المناصب الشريفة ويؤثر عليها العزلة وقد قال في ذلك قصيدة طويلة يصف فيها ثقل الرئاسة وحمل القضاء منها قولهُ:

يا طامعًا بلذاذ شُربِ ولايةٍ في شُربها مرُّ المذاق قد اتّصلْ
فيغرُّك الجاهُ الرفيع وانت لم تعلم بانَّ السمَّ في ذاك العسلْ
تولي السرورَ رئاسةٌ بفخارها لكنَّ فيها النمَّ عاقبة الجذلْ
وعلى الخصوص أُولو الولاية في القضا يتكبَّدون مكارهًا لا تُحتملْ
فلانَّ من يُوتَى القضا كثُرتْ بهِ اخصامهُ فيهِ استقام او انفتلْ
صدق المقال بانَّ نصف الناس اعداءٌ لذي الأحكام يومًا إن عدلْ
إرضاءُ كلّ الناس امرٌ مستحيلٌ في الدُّنى ضاقت بهِ كلُّ الحِيَلْ

فابن الاله بنفسهِ لم يُرضهم ... وهو الكمال بعينهِ باري المِلَلْ
خذهُ مثال الصبر مقتديًا بهِ ... فغدا مثالاً لا يحاكيهِ مثلْ
واصبر ولا تعبأ بقدحٍ قد بدا ... من جاهلٍ او من حسودٍ قد عذلْ
فاريجُ عرف العدل يؤذي بالجهو ... لِ كما اريجُ الوردِ يؤذي بالجُعَلْ

وبقي الخوري ارسانيوس ثلاث سنين في منصب القضاء الى آخر عهد الامير بشير سنة ١٨٤٢ فلمّا دعت الدولة السنيَّة ذاك الحاكم الشهير الى الاستانة مدحهُ الخوري ارسانيوس بقصيدة عامرة الابيات وذكر بنيهِ واسرتهُ الشريفة . ومطلع قصيدتهِ:

عُجْ يا مجدًا بالذهابْ ... وامشِ الهوينا بالركابْ

الى ان قال:

ما لذَّ لي من بعدهم ... اكلٌ ولا شربُ شرابْ
فالرَّبعُ من هجرانهم ... ورحيلهم اضحى يبابْ
بالحيِّ قد حلَّ الدُّجى ... وعلى الذرى نعق الغرابْ
غابوا وغاب ضياؤهم ... وبدا الاسى عند الغيابْ

ومنها في مدح الامير بشير:

نورٌ توارى كيف لا ... وبهِ نأى ذاك الشهابْ
مولًى اميرٌ ماجدٌ ... سامي الذرى عالي الجنابْ
قَرْمٌ بشيرٌ جهبذٌ ... والمجد منهُ في قبابْ
ليثٌ جسورٌ ضيغمٌ ... طامي الندى رحبُ الرحابْ
أورى بصارم عدلهِ م ... الاشرار في جوف الترابْ
وحوى سناءً ساميًا ... فسما بهِ فوق السحابْ
انجالهُ وبنوهمُ ... يبدون كالبحر العبابْ
كالشمس اضحى بينهم ... وهم البدورُ بنو الشهابْ

وطلب المرحوم ان يعتزل اشغال القضاء بعد ابتعاد وليِّ نعمهِ فلم يقبل استعفاءهُ الاميرُ حيدر اللمعي خلفُ الامير بشير في ولاية لبنان وثبَّتهُ في منصبهِ واختارهُ سعادة الوزير اسعد باشا مشير ايالة صيداء وطرابلس ليكون عضوًا في مجلس المسلوبات في بيروت في دعوى النصارى والدروز سنة ١٨٤٢. ثمَّ عاد الخوري الى اعمال القضاء فقام باعبائها حقَّ القيام مدَّة اربع عشرة سنة الى ان حصل لهُ مرضٌ في عينيهِ فانتهز هذه الفرصة ليقدّم استعفاءهُ واحتجَّ بقصورهِ عن اتمام واجبات مهنتهِ فصُرف عن رتبتهِ عزيزًا مكرَّمًا سنة ١٨٥٦

٣

ومن ذاك الوقت أوى المرحوم الى بيتهِ مع آلهِ وتفرَّغ للتأليف والتصنيف وكان الناس يقصدونهُ في حلّ مشكلاتهم وفصل منازعاتهم . وكثيرًا ما كان الاشراف واصحاب الامر يطلبون مشورتهُ ويستعينون بمعارفهِ الجمَّة نخصُّ منهم بالذكر متصرّفي لبنان المرحوم داوود باشا وفرنكو باشا ورستم باشا . والحّ عليهِ الاول بقبول رتبة القضاء على كسروان فاحتجَّ بوجع عيونهِ . لكن ذلك الرجل الشريف وعدهُ بان يعيّن لهُ كتّابًا يخفّفون عليهِ شغلهُ ويكتفي هو بالحكم فأبى وتملّص بعد العناء الطويل من هموم هذا المنصب . امَّا سعادة رستم باشا فانهُ لم يكتفِ بزيارتهِ مرّتين في بيتهِ في غزير بل اعرب لهُ امام الجمهور عن اعتبارهِ السامي لشخصهِ الاثيل . وللخوري المرحوم قصيدة امتدح بها سنة ١٨٧٣ هذا المتصرف الخطير . مطلعها :

ابدت طلا الافراح نيلًا مشارقا جلتها لنا البشرى فشمنا بوارقا

ولازم المرحوم دارهُ سنين طوالًا يشتغل بالتأليف نظمًا ونثرًا لا يأخذهُ سآمة ولا ملل حتى اشتدَّ عليهِ مرض البصر واصبح ضريرًا . فكانت لهُ هذه المحنة مؤلمة جدًّا لكنَّهُ رضي بقضاء ربهِ وصبر على بليَّتهِ صبرًا جميلًا . ومع كل ذلك كان يقرض القريض وينسج النثر ويملي منظومهُ ومنثورهُ على من يكتبهما لهُ فكانت قصائدهُ بديهيَّة شبيهة بالارتجال

وكان الخوري ارسانيوس واعظًا بليغًا وخطيبًا مصقعًا تولى مرارًا عديدة ارشاد النفوس فهداها الى سبيل الصلاح بكلامهِ المملوء رشاقة . وكان باشر الكرازة منذ تبع القاصد الرسولي لوزانا فوعظ بالعربيَّة في بيروت ولبنان . ورافق ايضًا السيّد اوڤرني خلف السيد لوزانا في رسالاتهِ . وكان يترجم بالعربيَّة مواعظ القاصد . ويتذكر اهل غزير الى يومنا هذا رياضةً روحيَّة كرزها السيد اوڤرني مع الخوري ارسانيوس غصَّت فيها الكنائس لاستماع كلام الله وللاقبال على التوبة . ولمَّا أُصيب الخوري ببصره لم ينقطع عن القاء الوعظ للشعب وتلقين العامَّة مبادئ الدين

ومن اعمالهِ في ايام شيخوختهِ انهُ درَّس الفقه بعض الطلبة منهم المرحوم الخوري يوسف الهاني ( المدعو قبل الكهنوت بمنصور الهمش ) الذي انتظم في سلك جمعيَّة الكريم والمرحوم الخوري لويس ( عازار ) زوين مؤسّس مدرسة مار لويس

وكلاهما من تلامـذة الاباء اليسوعيين في غزير. والمرحوم يوسف حبيب باخوس الشاعر الشهير. وكلهم برعوا تحت تدبير معلمهم الفاضل

وكان رحمهُ الله في مدَّة مرضهِ الذي دام نحو سبع عشرة سنة لا ينقطع البتة عن اتمام واجباتهِ الكهنوتيَّة وكان يقرّب كلَّ يوم الذبيحة الالهيَّة الَّا انَّ شماسهُ كان يتـلو الانجيل بدلًا منهُ وذلك برخصة من السعيد الذكر البطريرك بولس مسعد تلميـذهِ القديم وكان سمح لهُ بان يقيم لهُ معبدًا خصوصيًا واذن لعيلتهِ ان تحضر القداس فيهِ ايَّام الاعياد ما عدا يوم الفصح

ثمَّ طعن هذا الاب الجليل في الشيخوخة فعانى مشاقَّها وقاسى اتعابها بمزيد الصبر وملازمة التجلد وكان كلَّ يوم يُعـدُّ نفسهُ للاقاة ربّهِ والتمتع بنظرهِ الى الابد. ولقد نظم قبل وفاتهِ بيوم واحدٍ قصيدة بيَّن فيهـا ما يكنُّهُ قلبهُ الطاهر من الحبّ للمسيح الههِ فكان شعرهُ اشبه بصوت المنفي المتلهِف الى وطنهِ السماوي:

تفسي تناءت عن حماك بوزرها ... يا خالقي قد اسخطتك بشرّها
فبحبك السامي انحدرتَ من السما ... لخلاصها وفدائها من اسرها
اذ بتَّ عريانًا ومصلوبًا على ... عودٍ لتكسوها ملابس برّها
يا ربَّنا الفادي يسوع إلهنا ... لكمُ السجود من النفوس بأسرها
خذني اليك لكي احبك في السما ... حبًّا عظيمًا كاملًا في خدرها
فلاشكرنَّك ما حييتُ وان أَمُتْ ... فلتشكرنَّك اعظمى في قبرها

ولمَّا احسَّ بدنو اجلهِ تزوَّد بالاسرار المقدَّسة وجدَّد صورة ايمانهِ معربًا عن ارادتهِ بان يحيا ويموت في حجر الكنيسة الكاثوليكيَّة ثمَّ أسلم روحهُ الطاهرة الى خالقهِ في ٢٧ من تشرين الاول (١ سنة ١٨٨٣ تغمدهُ الله برضوانهِ واسكنهُ فسيح جنانهِ. ولمَّا ذاع نعيهُ بكاهُ كلُّ من عرفهُ لاسيا افراد الناس والعلماء واجتمع في مأتمهِ عددٌ لا يحصى من الكهنة والذوات وقُبر في كنيسة مار ميخائيل

وللخوري ارسانيوس تآليف كثيرة خدم بها العلم والدين خدمةً حسنة دونك اسماءها: ١ً شرح ديوان الحبر العلامة المطران جرمانوس فرحات. وهو شرح مطول لم يُطبع حتى الآن. ٢ً كتاب كفاية الطلاب في التصريف والاعراب وهو كتاب

---

١) كذا روى المصباح في هذا التاريخ. وفي الاعلامات التى أُرسلت الينـا من اهلهِ انَّهُ توفي في ١٣ ت ١

مطوَّل في الصرف والنحو (لم يُطبع). ٣ً قواعد اللغة السريانيَّة (لم يُطبع).
٤ً روض الجنان في المعاني والبيان نُشر في مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٧٦.
٥ً شرح ديوان المتنبي (لم يُطبع). ٦ً كتاب الميزان الذهبي في الشعر العربي طُبع في المطبعة العموميَّة سنة ١٨٧٣. ٧ً كتاب زهر الربيع في فنّ البديع طُبع في المطبعة المذكورة سنة ١٨٦٨ وهي بديعيَّة منظومة ومشروحة في مدح السيد المسيح ووالدته البتول ورسله الاطهار ابياتها ١٤٧ بيتًا ومطلعها:

فحيّ حيَّ الجليل الجامع المعظَّم وبيت لحم وآلاً قد سمت بهم

٨ً و ٩ً ولهُ بديعيَّتان اخريان اثبتنا احداهما في مجموعنا المعروف بمقالات علم الادب (١: ٢٩٥ — ٣١١). والاخرى لا تزال غير مطبوعة. ١٠ً ومجموع مواعظ مختلفة كان ألّفها لنفسه ولتلامذته. ومن جملة هؤلاء حضرة الاب الغيور الطيّب الذكر لويس كانوتي اليسوعي رئيس مدرسة غزير وكان يعهد الى الخوري ارسانيوس اصلاح عظاته وقد قال الخوري في مدحه يوم عيده قصيدةً مطلعها:

يا عيد قد ملانا بهجةً وسرورًا وحبورًا وجذلْ
عيد تُفتراغا لويس من علا شرفًا في مجده برجَ الحمَلْ

وكان رحمهُ الله كثير النظم جيد القريحة غزير المادَّة ينشد الشعر عفوًا دون تصنُّع. وديوان شعره ينيف على ٤٤٠ صفحة فيه القصائد الحسنة ذات المعاني المبتكرة والمواضيع الشريفة منها دينيَّة ومنها علميَّة وادبيَّة وفي كلها من التفنن ما لا يُنكر. ولعلّ شعراء عهدنا يجدون في هذا النظم الغثّ والسمين لكنَّ ذلك لا يخس من قدر صاحبه لما ابتلي به من ضعف البصر ولكثرة ما باشر من الاشغال المتباينة. ولنا الامل ان حفيد عمه المعلم يوسف افندي الفاخوري ينقح هذا الديوان وينشرهُ بالطبع عمَّا قليل. ولولا الخوف من الاسهاب الملّ لاوردنا هنا شيئًا من القصائد التي نسج المرحوم بردتها في مدح مشاهير زمانه ووصف حوادث وطنه. وانَّما نكتفي اليوم بقطعة من وصفه لجبل لبنان قالها سنة ١٨٥٤:

سقاك لبنان ربُّ الكون اضعافا صوبَ الحيا عمَّ اجرامًا واكنافا
لا زال طُورك فوق النجم مرتفعًا يقيم فوق الثريَّا منهُ أظلافا
قد من مريع راقت خمائلهُ فاقت بذلك اغصانًا وألفافا
بالحسن شُصف بالظرف مؤتلف باللطف ملتحف قد فاق اوصافا

حكى جناناً بأنصار مدفّقة بحالما قرنفلاً من كان مُهتانا
وقد غدا نزهةَ المشتاق منظرهُ اذ عمّهُ الحسن اوساطاً واطرافا
فالرأس في بلجٍ والسفح في حججٍ والذيل في وهجٍ قد ضمَّ اسجانا

ولهُ القصائد الدينيَّة الحسنة جارى فيها الشاعرين المُفلقين السيد جرمانوس فرحات والخوري نيقولا الصائغ نخصّ منها بالذكر قصيدتهُ الالفيَّة في اثبات الدين المسيحي ومدحهُ للكنيسة الرومانيَّة وبيان رئاستها وتهنئتهُ للبابا بيوس التاسع في يوبيلهِ الاسقفي وتاريخهُ لعقيدة حبل العذراء بلا دنس الى غير ذلك. وكان يردّ الله ضريحهُ يكاتب العلماء والادباء ومنهم من نظم القصائد في مدحهِ من ذلك ما اطراهُ بهِ العالم العلامة الشيخ يوسف الاسير :

اوحشتنا بالتنائي ايها الخوري فانت بالفخر لا الفخّار فاخوري
كأنَّ نظنّك من قول الوشاة سوى ما قد رأينا وما سمعٌ كمنظورِ
انّا وجدناك حبرًا كاملًا بطلًا في العلم والحلم بل في الحكم ذا النورِ
خوري ولكنَّهُ اعيت بلاغتهُ قسًّا بفضل فضالٍ غير منكورِ

وهي طويلة اكتفينا بما سبق لبيان فضل صاحب الترجمة زاد الله في ثوابهِ ونفعنا بتآليفهِ وآدابهِ

# الفتاة المفقودة

رواية تاريخيَّة عرَّبها بتصرُّف الاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما سبق)

وكان وجه الشمس في اثناء زيارة الشبَّان الاربعة لقصر مُونسينور قد تبرقع بالغيوم وانتشر في السماء عارضٌ من السحب المتكاثفة ولمعت في الافق بروقٌ خاطفة. فخاف الزوار اذا خرجوا من القصر ان تدركهم الامطار في طريقهم ولا يبلغوا قريةً اخرى يبيتون فيها ليلتهم الّا بعد العناء التامّ. فطلبوا من الحاجب ان يرخّص لهم بان يقضوا تلك الليلة في القصر فلبى الى دعائهم بطيب القلب

ثمَّ اخذ الزوّار يروّحون النفس في خمائل الحديقة واستنشاق زهورها العطرة الى ان أخذهم السأم من الحديث. فعرض موريس دي لوساك على رفقتهِ ان يقضوا مساءهم في

لعبٍ يلهيهم عن الملل والبطالة فلم يجدوا لهوًا افضل من لعب الاستتار (cache - ca-che) وذلك بان يتوارى اثنان منهم في بعض المخابي ويبحث عنهما الآخران الى ان يقفا على مكانهما

فتفرَّق للحال اصحابنا في انحاء القصر بجلبة عظيمة لم يُسمع لها مثيل منذ يوم اكليل لوسيا المفقودة. فكانوا يدورون في مقاصير الحصن وينزلون في اسرابهِ ويطلعون الى سطحهِ حتى بلغ احدهم وهو موريس دي لوساك الى الدهليز الذي وصفناه سابقًا فوجدهُ احسن موضع للاستتار عن اصحابهِ فانساب بين الاخشاب الملقاة وهو يقهقه فرحًا لوجودهِ مثل هذه الخباة التي ييأس رفقتهُ من اكتشافها

ولمَّا وصل الى السرب المتسع الجوانب بقي هنيهةً لاطيًا فيهِ ينتظر ما سيكون من امر رفقتهِ. فبعد ثلاث دقائق سمع ضوضاءهم عن بعد فخاف ان يعثروا عليهِ فالتجأ الى زاوية في اقصى السرب مستندًا الى جدارها فاذا بالحائط يتحرك فضرب بيدهِ الجدار واذا هو باب يدور من داخلهِ على عتبة متوارية في الارض وكان الباب اذا أُقفل لا يختلف عن جوانب السرب شيئًا فيظنُّهُ الرائي انهُ احدى زواياه

فدفع موريس هذا الباب بشدَّةٍ وكان من الحديد فرأى وراءهُ معبرًا. ففكر ان يتستَّر في داخلهِ لئلا يجدهُ رفقتهُ فدخل المعبر وترك الباب وشأنهُ فعاد الباب الى مكانهِ بقوَّة لولبٍ دفعهُ الى العتبة. فانقفل وسُمع لهُ صوتٌ مرنَّ ارتجفت لهُ فرائص موريس ولكن لم يكن المسكين ليظنَّ انهُ وقع في داهيةٍ دهياء تذيقهُ الموت الوانًا لاسيا انهُ كان يسمع ضوضاء رفقتهِ عن كثب. فصمت لم يبدِ حراكًا ريثما يبتعد عنهُ طالبوهُ فيخرج اليهم ويمزح بهم لعدم وقوفهم على مختباءِ

وكان موريس واقفًا في معبرهِ وهو في الظلمة الحالكة لا ترى عيناهُ شيئًا. فلمَّا مضى عليهِ بضع دقائق وسكنت اصوات رفقتهِ اراد ان يفتح الباب ويرجع الى سرب الاخشاب ويخرج منهُ الى الدهليز الذي في زاوية الحديقة فلم يجد ليدهِ مقبضًا يفتح بهِ الباب المقفل وراءهُ. وكان الباب كلهُ مصفَّحًا بصفائح الحديد فتحيَّر لذلك ثمَّ اخذ يدخل اظافرهُ واطراف اصابعهِ في مَوصل الباب باطارهِ فلم تنشب اظافرهُ في الصير بتَّةً وكان اطار الباب لا يكاد يتميز عن جوانبهِ

ففزع موريس وصرخ مرعوبًا فلم يُسمع لصوتهِ صدى. فاراد ان يتجول في

هذا المجاز المظلم لعلَّهُ يجد لهُ منفذًا آخر فمشى بعض خطوات حتى دار بهِ المعبر يمينًا واتسع جانباهُ فتبعهُ همسًا حتى وصل الى غرفةٍ طولها نحو خمسة امتار في عرض ثلاثة منها وعلوّ اربعة وكان لها كوة صغيرة من الزجاج ينفذ فيها النور من علُ. وعلى احد جوانبها كوّة اخرى ضيّقة مستطيلة تعلو القامة

فلمَّا استقرَّت رجلهُ في قرارها اشتمَّ منها رائحة اشبه بنتن جيفة باليةٍ. فاشمأزَّ لهذه الريح الكريهة لكنَّهُ اخرج من جيبهِ قليلًا من الكافور كان معهُ فاستنشقهُ

ثمَّ تجلَّد وتقدَّم الى الامام واخذ يتفقد تلك الغرفة مستنيرًا بالضوء الضعيف اللائح من الكوَّتين. فوقع نظرهُ على اسلحة معلَّقة على الجدار علاها الصدأ وبجانبها خوذة فارس مع نفيرٍ ضخم. فهتف الفتى من ساعتهِ: « هذه ولا شك مخبأة البارون دي ادراي المجهولة وان هذا الَّا نفيرهُ الذي كان ينفخ فيهِ اذا اراد الهجوم برجالهِ على الاعداء. وكان يُسمع على مسافة بعيدة. واذا نفخت انا فيهِ نجوتُ لا محالة ». فاخذهُ وجعل يبوّق فيهِ فلم يُسمع لهُ صوتٌ البتة لقدم عهدهِ. فاعادهُ الى مكانهِ كئيبًا

ثمَّ حدَّق ببصرهِ الى زوايا الغرفة فرأى من عن يمينهِ سوادًا واذا هو كرسي مبطَّن ذو سندٍ ومرفقين وكأنَّ امرأةً جالسة عليهِ متكئةً على احد مرفقيهِ بهيئة النائم وقدماها على موطاء امام الكرسي

فظنَّ موريس انها ابنة الحاجب اتت هذا المكان فرارًا من حرارة القيظ فنامت هنالك

فاقترب منها ليوقظها فلم تُحرِ جوابًا. فاراد ان يجتذبها فاذا هي جيفة فتاة ميتة فاضطربت جوارح المسكين وامتقع لونهُ وانعقد لسانهُ خوفًا وهلعًا ووقفَ شعر رأسهِ وسقط على الارض مغشيًا عليهِ

فبقي على هذه الحالة ساعةً الى ان خيَّم الظلام على الارض. وكان في خلال ذلك انَّ العاصفة هبَّت على القصر وهطلت الامطار وقصف الرعد فبلغ صوت هزيمها مسامع موريس فانتبه مذعورًا كرجل ضغطهُ جُثام في منامهِ يستيقظ متوجّسًا هلعًا

ففتح عينيهِ واذا بجيفة الفتاة في كرسيّها بازائهِ. فقام مسرعًا يطلب لهُ مفرًّا من هذا المنظر الهائل ورجع الى باب المعبر المغلق الذي دخل منهُ لعلهُ يجد وسيلة لفتحهِ فعالجهُ مدَّةً وسعى في فتحهِ جهدهُ فخاب املهُ واخفق مسعاهُ

ثم عاد الى الغرفة واخذ مقعدًا صغيرًا وجدهُ هناك فصعد عليهِ عند الكوَّة المستطيلة وشرع يصرخ بملء فيهِ راجيًا انَّ احدًا يسمع صراخهُ من الخارج فيسرع الى نجاته ألّا انَّ الكوَّة كانت على جانب القصر المشرف عـلى الوادي فذهب الصوت متضمضعًا لم يلقَ اذنًا صاغيةً لاسيما انَّ الريح لم تزل عاصفةً والامطار هاطلة

فخـارت قوى موديس من كثرة صراخهِ ويبس حلقهُ عطشًا فاخذ منديلهُ وجعلهُ على طرف الكوَّة حيث كان يجري ماء المطر فلمَّا ابتلَّت جعل يمتصُّها الى ان برَّد غليلهُ واكل كسرةً من الخبز كانت بقيت معهُ من سفرهِ فعادت اليهِ قواهُ

وفي تلك الاثناء اعار اذنهُ الى الخارج فسمع شبه لغطٍ من بعيد فلم يشكّ انَّ رفقتهُ يطلبونهُ ويدورون في كلّ انحاء القصر ليقفوا على آثارهِ فصـار يجهد نفسهُ في الصراخ ما امكنهُ. وكان احيانًا يرجع الى باب المعبر الحديدي فيضربهُ بيديهِ ويلكمهُ برجليهِ رجاء ان يسمعهُ احدٌ من رفقتـهِ فيعرف مكانهُ. وبقي على ذلك ساعةً الى ان ترشَّح جسمهُ بالعرق واضناهُ التعب

فلمَّا أيس من فتح الباب أُصيب بضرب من الجنون فصـار يخبط الارض برجليهِ وينتف شعرهُ. ثمَّ رمى بنفسـهِ على الحضيض متمرّغًا بالتراب كالصريع ثمَّ فاضت عبراتهُ واجهش بالبكاء طويلًا وكان يفكر في والدتهِ المسكينة وما يعتريها من الوجد والحزن اذا بلغها فقد ولدها. وكان يزيدهُ رعبًا منظر جثَّة تلك الفتاة وهي لا شكّ لوسيًّا دي براكنتال المفقودة في نهار عرسها الذي سمع قصَّتها قبل بضع ساعات. فما أصابها سيصيبهُ ايضًا لا محالة فيموت حيًّا في قبرهِ هذا كما ماتت هي قبلهُ

وبينما كانت هذه الافكار والهموم تساورهُ وتفتُّ في عضدهِ اذ سمع ساعة القصر تدقُّ الساعة العاشرة من الليل وهي ساعة رقادهِ في بيت ابيهِ وكان موديس لا يأوي الى فراشهِ دون ان يصلّي صلاة الليل التي تعلَّمها من امّهِ التقيَّة فما سمع دقَّات الساعة حتى سبق الى فكره ذكر الصـلاة المعتادة فهبَّ اسرع من طرف العين وجثا على ركبتيهِ وصلَّى الى الله صلاةً لم يخطر على بالهِ انَّهُ تلا صلاةً احرَّ واخشع منها في حياتهِ

فبقي مدَّةً مستحرًّا في الدعاء الى الربّ منقـذ البائسين والى البتول العذراء امّ المراحم فشعر بالهدوّ عاد الى قلبهِ وكأنَّ صوتًا يناجيهِ في الباطن أن: « ثق يا بُني فانَّ الخلاص قريب »

وقام من صلاتهِ ثمَّ انقع غلّتهُ بمنديلهِ المبلول بماء المطر واسند ظهرهُ الى الحائط وطلب من النوم بعض الراحة لجسمهِ المنهوك. فما لبث ان استولى سلطان النوم على اجفانهِ وغرق في السُّبات لكنَّهُ لم تمرَّ عليهِ هجعة من الليل حتى عرض لهُ منام مزعج صوَّر لهُ في مخيّلتهِ الاهوال التي قاساها في مساء نهارهِ فاستيقظ من سنتهِ مرعوبًا

وكان اديم السماء قد صفا في خلال رقدة موريس والقمر قد طلع فوق الافق فنفذ شيء من نورهِ في حبس السجين مارًّا بالكوَّة المستطيلة التي مرَّ ذكرها. فانعشهُ هذا المنظر غير انَّ بصرهُ وقع ثانية على الكرسي الذي فيهِ جسم الفتاة الميتة فاسودَّت الدنيا في وجههِ. فصرف نظرهُ الى زاوية اخرى املًا يكشف عنهُ هذه الغمَّة واذا بعينين متّقدتين كانهما الشهابان تشخصان اليهِ فانخلع قلبهُ لهذا المنظر واقشعرَّ بدنهُ واحسَّ بعرق بارد يجري في كلّ اعضائهِ

وكان المسكين لا يعرف ما وراء هذا المرأى العجيب وهل العينان لانس او لجنّ. فبقي واجمًا ينتظر بفروغ الصبر طلوع الفجر ليزيل الشبهة وينفّس عنهُ الكربة وكانت الدقائق تلوح لهُ اطول من السنين الى ان تمزَّق ستر الليل قليلًا قليلًا فضعف نور العينين اللامعتين. ثمَّ انفلق الفجر تمامًا فرأى واذا بالعينين عينا هرّ كبير كان دخل من الكوَّة ليبيت ليلًا في ذلك المكان المظلم

فقام موريس لوقتهِ وحاول ان يمسكهُ ليأنس بهِ ويعلّقهُ الَّا انَّ الحيوان نفر منهُ وقفز الى الكوَّة كأنَّهُ السهم الرشيق

فبقي السجين وحدهُ كما كان يوم امس. لكنَّ عينيهِ كانتا اعتادتا على ظلمة هذا المكان فاخذ يسرّح ابصارهُ في كلّ اثاث الغرفة وادواتها فتبيَّن لهُ بحيث لم يمكنهُ الريب انَّ هذا المكان هو هو مخبأ البارون دي ادراي الذي طالما حاول الناس الوقوف على سرّهِ الى ذلك العهد

ثمَّ اقترب ثانية من جثة الفتاة ليفحصها واذا هي بهيكل عظام اشبه منها بجثة ميت وكانت لحمانها قد تناثرت وبقي عليها قِطَع من الجلد وعلى رأسها بعض جِفاف من الشعر. وكان في اصبعها خاتم من الماس وعلى عنقها قلائد من اللؤلؤ في وسطها صليب من الذهب الابريز

فلمَّا نظر موريس الصليب آلة فداء البشر قرَّبهُ من شفتيهِ وقبَّلهُ بكل آكرام ثم

جثا امامهُ وصلّى الى الله ثانية طالباً منهُ النجاة باستحقاق صليب ابنهِ الحبيب. ولم ينسَ في صلاتهِ تلك البائسة التي لقيت حتفها قبلهُ في ذلك الحبس

ثمَّ رأى في طرف آخر منضدة (طاولة) علاها الغبار ونخرها السوس لتقادم عهدها فنفض غبارها وفتح جرَّارها واذا بكتابٍ كبيرٍ قديم الطبع صعب القراءة. فامعن فيهِ النظر حتى تمكَّن من قراءة عنوانهِ فوجدهُ ترجمة قديمة للاسفار الالهيَّة فقلَّبهُ واذا بورقةٍ في ضمنهِ كُتب عليها بقلم رصاص ما يلي:

« ايها الشقي الذي ساقهُ سوء حظهِ الى هذه الهوَّة فتبَّر بها حيًّا ارفع بنظرك الى الله وتوسَّل اليهِ ان يتغمَّد ذنوبك ويقبل ضحيَّة حياتك ويرحم نفسك لأنهُ لا مناص لك من هذا السجن او تقوم الساعة »

لوسيًا دي براكتنال
في ٢٨ حزيران ١٧١٥

(ستأتي البقيَّة)

# مطبوعات شرقية جديدة

## الرسالة الشهابيَّة في الصناعة الموسيقيَّة

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب ل. رنزفال اليسوعي

طُبعت في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين ١٨٩٩ عدد صفحاتها ٨٠

ليست الموسيقى ولله الحمد فنًّا مهملًا في الشرق كما يظنُّ بعض العاذلين وكفانا لردّ هذه المزاعم ما نراهُ حولنا من المغنّين المجيدين الذين تعمل اصواتهم في الآذان ولا عمل الرحيق في الابدان. ولا تخلو هذه البلاد من قوم افراد يحكمون عزف الملاهي ونقر الاعواد. ولكن يا تُرى اين الاحكام والسُّنن التي يجري بموجبها هؤلاء الموسيقيون؟ فان استطلعت طلع احدهم وبحثت عن الاصول التي يتبعها في غنائهِ اجابك: هذا فنٌّ لا قاعدة لهُ غير الاختبار اليومي والتقليد المتواتر واذا كان لذلك اصول في سالف الازمان فقد دخلت في خبر كان

بيد ان حضرة الاب رنزفال بينما كان يطلب لهذا المشكل حلًّا اطلعناهُ في خزانة كتبنا الشرقيَّة على نسخة من كتاب الدكتور ميخائيل مشاقة جمع فيهِ ما امكنهُ من

القواعد الموسيقيّة نقلًا عن ابرع شيوخ هذا الفنّ في مصر والشام. والحقّ يقال ان هذا التأليف مع ما فيهِ من الخلل يشتمل على كثير من المباحث التي تنهج لطلبة الموسيقى طريق هذه الصناعة الشريفة وتعريف اساليبها عند العرب. فراجعهُ حضرتهُ بدقيق نظرهِ مستعينًا على اتمام شغلهِ بنسختين اخريين وجدنا احداهما عند حضرة الخوري الغيور الشيخ لويس الخوري والاخرى عند الموسيقيّ الشهير شكري افندي السودا. وفي هذه المقالات اشكال وحسابات عديدة تقتضي عملًا طويلًا مملًا فلم يتأخر الاب رتزفال عن مراجعتها وتصحيحها وساعدتهُ على ذلك خبرتهُ الكبرى بفن الموسيقى الفرنجيّة التي يتقن مبادئها منذ حداثتهِ وزاد على ذلك تعليقات وحواشي تجدي هذه المقالة فوائد جديدة من شأنها ان ترشد جمهور القراء الى فهم الفاظ الموسيقيّين واصطلاحاتهم كتعريف الديوان ( gamme ) وشرح دوزان العود الذي اختلف في ممرّ الدهور بل منذ زمن مشاقة نفسهِ. فنشكر لحضرة الاب هذه الخدمة الجليلة ونتمنى لعملهِ رواجًا ليس فقط في الشرق لكن ايضًا عند المستشرقين الذين جعلوا همّهم منذ ٥٠ سنة درس الموسيقى العربيّة وخواصّها. وهذه المقالة ظهرت اوّلًا تباعًا في المشرق ل. ش

## شذرات

الالات الروحانيّة — قد عثرتُ في اثناء مطالعتي لكتاب كشف الظنون فصلًا في هذا الباب استنتجتُ منهُ ان الآلات الرَوحانيّة هي التماثيل المتحرّكة او الناطقة التي ورد ذكرها في الضياء ( راجع المشرق ٣ : ١٠٩ ) قال الحاجّ خليفة :

« علم الآلات الروحانيّة المبنية على ضرورة عدم الخلاء: كقَدَح العَدل وقَدَح الجَور. امّا الاول فهو اناء اذا امتلأ منها قدر معيّن يستقرّ فيها الشراب. وان زيد عليها ولو بشيءٍ يسير ينصبّ الماء ويتفرّغ الاناء عنهُ بحيث لا يبقى قطرة. وامّا الثاني فلهُ مقدار معيّن ان صُبّ فيهِ الماء بذلك القدر القليل يثبت. وان مُلئ يثبت ايضًا وان كان بين المقدارين يتفرّغ الاناء كلّ ذلك لعدم امكان الخلاء. قال ابو الخير :« وامثال هذه من فروع علم الهندسة من حيث تعين قدر الاناء. والّا فهو من فروع علم الطبيعي. ومن هذا القبيل دوران الساعات. ويسمّى علم الآلات الروحانيّة لارتياح النفس بغرابة هذه الالات. واشهر كُتُب هذا الفن حِيَل بني موسى بن شاكر. وفيهِ مختصر لفيلن ( كذا عندنا في النسخة المطبوعة في الاستانة والصواب « فيلن » كما جاء في نسخة اوربا ) وكتاب مبسوط للبديع الجزريّ ». انتهى

فعلى هذا تكون الروحانيّة نسبة الى الرَوح بفتح الراء بمعنى الراحة والفرح

والسرور. لكننا نفضل «رُوحانيّة» نسبةً الى الرُّوح فيكون المعنى: «آلات كأنها ذوات روح» لما فيها من الحركات التي تحاكي حركات ذوات الرُّوح اي الحيوانات والله اعلم

الاب انستاس الكرملي

## اكتشاف عاديّ في قبرس

انبأنا المقتطف في عدده الاخير (ص ٥٥٣) بما اكتشف حديثًا من العاديّات «في جزيرة قبرس التي يروى في خرافات اليونان القدماء ان الملك مينوس بنى التيه فيها لسجن الثور منيتور (كذا) الذي قتلهُ ثسيوس». فاخذنا العجب من سعة علم المقتطف الذي يعرف الخرافات القديمة ولا يفوتهُ منها شيء. كيف نسي انَّ الملك مينوس والتيه والثور مينوتور (Minotaure) والبطل ثيسيوس ليس لهم اثر في قبرس لكن في جزيرة كريت ولا شكَّ انَّ هذه احدى خرافات المقتطف الذي يفكه قراءهُ بما هو اغرب من هذا كقوله بتناسل الانسان من القرد هداهُ الله الى سبيل الصواب

## اكتشافات في كورنثوس

اكتشف بعض العلماء الاميركيين في كورنثوس حوضًا قديمًا من الرخام مزيّنًا بالدمى والتماثيل الجميلة يمثل احدها الالهة آريان (Ariane). وهذا العمل يرتقي الى عهد قدماء اليونان

# اسئلة واجوبة

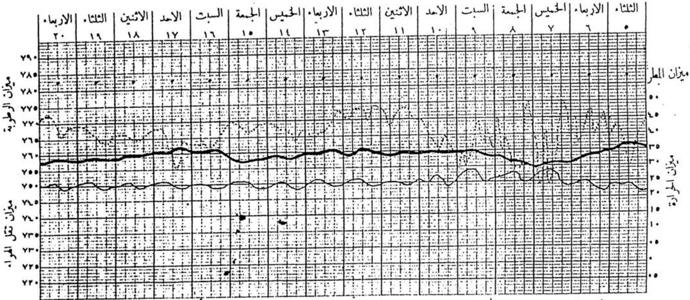
س ١ً ماذا يُراد بلفظة «الاجارتين» الواردة في المادة ١٦٦٠ من مجلة الاحكام العدلية. ٢ً ما معنى «التراحومة» المذكورة في المادة ٤٨ من شرح قانون المحاكمات الحقوقية في المبحث الثاني في وظائف المجالس الروحية. ٣ً ماذا تعني لفظة (بم) الواردة في اخر شرح المادة ١٦٥١ من مجلة الاحكام العدليّة

جواب على اسئلة شرعيّة

ج ١ً يراد بالاجارتين عقد اجارة يجري غالبًا في ارض الوقف على مدَّة طويلة فيدفع المستأجر نصف البدل نقدًا والنصف الآخر يدفعه مؤجلًا مسانهةً على مدة الاجارة. فسمّي العقد بالاجارتين باعتبار كون بعض البدل مؤجلًا وبعضهُ معجلًا فكأن العقد ورد على اجارتين الواحدة مؤجلة والاخرى معجّلة ٢ً التراحومة لفظة يونانية يراد بها جهاز العروس او نوع منهُ ٣ً اما لفظة (بم) فهي مقتطعة من اسم كتاب بيّنات الحاكم

للقانوني البارع سليم باز

قائمة للآثار الجوّيّة من ٥ الى ٢٠ حزيران ١٩٠٠




انَّ الخطَّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (-----) على ميزان الحرارة (ترمومتر)
امَّا الخطَّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُين التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالمِلمترات وعُشر المِلمترات